موقف المعتزلة من السنة النبوية

ومواطن انحرافهم عنها

تأليف

أبو لبابة حسين

دار اللواء
للنشر والتوزيع

أبو لبابة حسين

موقف المعتزلة من السنة النبوية

ومواطن انحرافهم عنها

دار اللواء
للنشر والتوزيع

أنجز هذا البحث ضمن أعمال قسم الدراسات الاسلامية لسنة ٧٥-١٩٧٦
بمركز الدراسات والابحـــاث الاقتصادية والاجتماعية – الجامعة التونسية –
وقد رخص مركز الدراسات بنشر هذا البحث .

الطبعة الثانية

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

المملكة العربية السعودية ـ الرياض ١١٤٦١
دار اللـــواء ص. ب : ٢٨٥٦ شارع الملك فيصل
هاتف : ٤٠٢٨٠٨٤-٤٠٥١٧٥٤ - برقياً : نشر دار

بســـــم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمّد خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مقـدّمة

لم تحظ فرقة إسلامية بذيوع الصيت واهتمام النقّاد والعلماء بدراستها وفهم أصولها، قديماً وحديثاً بما حظيت به فرقة المعتزلة التي اتّخذت من العقل إماماً تهتدي بهديه وتترسّم خطاه – وهواه – وتبني على ضوئه مبادئها وتدافع به عن آرائها.

ولعل هذا الاهتمام يعود:

١ – الى الاضافات القيّمة الّتي أضافتها لتراث الفكر العربي الاسلامي[١].

٢ – أو لما اتّسمت به من الانحراف عن المنهج الاسلامي الملتزم بالقرآن والسنّة الصّحيحة، حيث مالت الى المناهج الأجنبية سواء منها فلسفية يونانية وهندية ونحوها أو دينية يهودية ومسيحية وزرادشتية وغيرها.

---

(١) أدب المعتزلة ١٠٨.

٣ – أو لمـــا توصّلت اليه هذه الفرقة من استقطاب لعدد كبير من العلمـــاء والمفكّرين والأدباء ، الأمر الّذي زاد في نفوذها ووسّع من اشعاعها ، فضلاً عن تجنيدها لبعض الخلفاء العبّـــاسيين واستغلال سلطـانهم القويّ واستخدامه في نشر مذهبها على نطاق واسع . . .

وقبـــل الدّخول في الموضوع أريد أن أشير الى التوقّف الّذي توقّفه بعض الأساتذة البـاحثين في القسم الاسلاميّ من معهد الدّراسات والأبحـاث العلميّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة حول عنوان هذا البحث اذ لم يستسيغوا عبارة « انحراف »[1]، ذلك أنّهم يعتبرون المعتزلة فوق مستوى الشّبهات اذ هم – لا شكّ – يجلّونهم ويُحِلّونَهُمْ محلًّا رفيعاً من الفكر والدّين ، وغاب عنهم أن المعتزلة – على ملحظ الشّيخ محمود محمّد شاكر – « أخطأوا الطّريق الى فهم ما نزّله الله من القرآن ، وبلغوا من الارهاب والقسوة والفُجور في الحكم – حين صارت اليهـم مقاليد الحكم في خلافة المأمون – مبلغاً عظيماً[2] وهو مـــا جعل أهل السنّة والجماعة اَلَّذِينَ ساروا على المهيع الرّشيد يَسِمُونهم بالابتداع وينسبونهم – بالدّليـــل الشّرعي – الى الخروج عن الجماعة الاسلاميّة المتمسّكة بسنّة رسولها والمهتدية

---

(١) كان العنوان : (مواطن انحراف المعتزلة عن السنة الشريفة) .

(٢) جريدة الأهرام ١٢ مارس ١٩٧٦ .

بنور الوحي من غير تحكّم في تفسيره ولا تمحّل في تأويله .

والواجب اليوم يدعونا - كما دَعَا سلفنا الصّالح في العصور الماضية - الى تقييم كلّ الأعمال الفكريّة وكلّ الحركات والدّعوات ووزنها بميزان الشّريعة الاسلاميّة فما وافق القرآن والسنّة الصّحيحة فهو الرّشيد وما خالفها فهو المنحرف السّقيم الّذي ينبغي كشفه والتّنبيه على خطره ، لكي نحفظ لثقافتنا الاسلاميّة صفاءها ، وللتصوّر الاسلاميّ نقاءه بعيداً عن كلّ تأثير وَثَنِيّ قديم أو حديث ، وبذلك نتيح الفرصة للاسلام أن يسهم في إبراز ثقافةٍ أصيلة .

وهذا الاعتبار هو الّذي أملى عليّ اختيار هذا الموضوع ، وهو في الحقيقة مساهمة متواضعة في تجلية ما اعترى التصوّر الاسلاميّ من شوائب نتيجة التأثّر ، - لدرجة الايمان - بالثّقافات والآراء غير الاسلاميّة .

والّذي أريد التّنبيه اليه هو أنّني عند استعراض انحرافات المعتزلة عن السنّة سوف لن أعتمد الّا على السنّة الّتي توفّرت فيها شروط القبول والعمل بها تلك الّتي أقرّ صحّتها أيمّة السنّة الأعلام . كما أن الانحرافات الّتي تنسب الى المعتزلة ليست كلّها ممّا تجمع عليه فرق المعتزلة إلا أنّها جميعها صدرت عمّن ينسب الى الاعتزال .

وسوف أعرّف بالاعتزال وأتحدّث عن الملابسات والعوامل الّتي ساعدت على ظهوره . وأشير الى العلاقـــة الرّابطة بينهم وبين القدريّة والجبريّة والجهميّة لأخلص بعــد ذلك الى تصوير مفهوم الايمان عندهم ، هذا المفهوم الّذي بنوا عليه الكثير من أحكامهم . ومن ثمّة أتحدّث عن تعاليمهم وأصولهم الخمسة وما تفرّع عنها من الآراء والعقائد .

وقبل الحديث عن موقف المعتزلة من السنّة نقف معهم وقفة قصيرة عند اكبارهم للعقل ، هذا العقل الذي حملوه ما لا يحتمل في مجال المعرفة وتمييز القبيح والحسن ، كيف لا وقد حكّموه في القرآن والسنّة وجعلوه القاضي عليهما . وبذلك تدرك مدى عمق الهوّة الّتي وقعوا فيها والّتي جعلت أهل السنّة ، الّذين عضّوا على كتاب الله وسنّة الرّسول بالنّواجذ — تلبية لدعوة الرّسول ﷺ — يشمّرون عن ساعد الجدّ لكشف انحرافهم الى الجماهير المسلمة ، وابراز المفهوم الصّحيح للشّرع كما يصوّره القرآن والسنّة .

وأثر بيان رأيهم في صحابة الرسول ﷺ وموقفهم من الخبر المتواتر وحديث الآحاد وبيان مدى إعراض بعضهم عن حديث رسول الله تشكيكـاً وتكذيبــاً معقّبـاً على كل ذلك بمدى انحرافهم ومخالفتهم لصحيح السنّة ... أتحدّث عن موقفهم من الاجماع والقياس لأصل بعد ذلك الى استعراض عدد من مواطن

انحرافهم وعزوفهم عن السنّة . مستشهداً على كلّ ذلك بما صحّ من حديث الرّسول ﷺ – كما كنت قد ألمحت – .

بعد ذلك أتناول بالبيان بعض آرائهم الجافية للعقل نفسه – هذا العقل الّذي قدّسوه – فضلاً عن مخالفتها للسنّة .

وأختتم البحث ببيان الأسباب الّتي أذهبت ريحهم وعجّلت باضمحلالهم . وسوف ألتزم الحقّ في كلّ ما أذهب اليه من غير تحامل ولا غمط لجهودهم في خدمة عقيدة التّوحيد، تلك الجهود الّتي تاهت وسط اغراء السّلطان وحبّ التسلّط والاستبداد.



ظهورُ المعتزِلة وَالتعريفُ بهِم

لقد اختلف الدّارسون حول تسمية المعتزلة بالمعتزلة اختلافاً شديداً وتباينت وجهات نظرهم تبايناً كبيراً ، وذلك لارتباط تلك التّسمية بالعديد من المسائل التّاريخيّة الّتي مـلأت سمع العالم الاسلاميّ وبصره ردحاً طويـــلاً من الزّمن . فأدلى كلّ بدلوه محاولاً تعليلها بما يتّفق ورأيه حول ظهور فرقـة المعتزلة وأصولها وطابعها الخاص"[1] .

واذا كان معنى الاعتزال لغويّـــاً التنحّي[2] والابتعـاد والانفصال فانّ له في الاصطلاح دلالات عديدة تخضع كلّـهـا لتأويلات مختلفة :

فمن النّـاس من يذهب الى أن اسم الاعتزال انّما أطلقـــه

---

(١) فضل الاعتزال ١٢ – يرى نلينو أن حل كل تلك المسائـل مرتبط بالوقوف على سبب تسميتهم .

(٢) تقول : عزلت الشيء عن غيره عزلاً من باب ضرب نحيته عنه ... ويقال في المطاوع فعزل ولا يقال فانعزل لانه ليس فيه علاج وانفعال (المصباح المنير ١/٥٧) .

عليهم مناوئوهم من أهـل السنـّة ، ومنهم من يرى أنـّهم سمّوا أنفسهم بذلك .

كما أن بعض النقـّاد يربط ظهورهم بالاعتزال السّياسي الأول للفتنة الـّتي نشبت بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين معـــاوية . ومنهم من ينسب ظهورهم الى ظروف أخرى غير الفتنة الأولى .

وجـل من يذهب الى أن اسم الاعتزال أطلقه عليهم أهل السنـّة فلزمهم يربط تسميتهم بتلك الواقعة الشّهيرة المتمثلة في اعتزال واصل بن عطاء الغزال لحلقـــة الحسن البصري حين أشتدّ الجدل حول مصير مرتكب الكبيرة[1] ، هـذه القضيّة الـّتي شغلت الرأي العـامّ الاسلاميّ في ذلك العصر فاستولت على اهتمامه وهي تنحدر عن مسألة الإمامة وما تفجّر عنها من صراعات دامية وخلافات مروّعة بين المسلمين فتفرّقوا بسببها الى طرائق متنافرة يرمي بعضها بعضاً بالكفر والمروق . ولعل ما تتجرّعه أمّتنا الاسلاميّة حتـّى اليوم من الفرقة والتـّنافر يعود الى تلك الفتنة الأولى .

وكانت للحسن البصري حلقة يرشد فيها المسلمين ، يعلـّمهم

---

(١) أدب المعتزلة ١١٠ - فضل الاعـتزال ١٩ - وانظر اختلافهم في أسماء مرتكب الكبيرة ص ١١٥ .

دينهم ويقرّر فيها المسائل الّتي جاء بها القرآن والسنّة ، ويفتي السّائلين فيما يشغل بالهم من مسائل ، أو مـــا يجدّ في حياتهم الخاصّة والعامّة من قضايا حيويّة . وسأله سائل : (يا امام الدّين لقد ظهرت في زماننـــا جماعة يكفّرون أصحـاب الكبائر ... وهم وعيديّة الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر... وهم مرجئة الأمّة فكيف تحكم لنا ذلك اعتقاداً ؟). ففكّر الحسن في ذلك. وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء— أحد تلاميذ الحسن النّجباء — : (أنا لا أقول : انّ صاحب الكبيرة مؤمن مطلقـاً ولا كافر مطلقـاً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر[1] . الأمر الّذي أغضب الحسن البصري فطرده من حلقته ، ممّا جعل واصلاً يمتزل الى سارية من سواري مسجد البصرة ليقرّر ما ذهب اليه ، وانضمّ اليـه عمرو بن عبيد وبعض النّاس ، (فقيل لهما ولأتباعهما معتزلة لاعتزالهم قول الأمّة في دعواها انّ الفاسق من أمّة الاسلام لا مؤمن ولا كافر[2] .

وهكذا نرى أن سبب تسميتهم انّما يعود الى خلافهم لقول

---

(١) ملل الشهر ستاني ٤٨/١ – أنظر القاموس المحيط ١٥/٤ .

(٢) الفرق بـين الفرق ٢٠ – ٢١ . فضل الاعتزال ١٩ – ميزان الاعتدال ٢٧٤/٣ المعتزلة ٢ .

الأمّة في مسألة الفـــاسق حيث افتجـروا القول بالمنزلة بين المنزلتين[1] ، هذا القول الـّذي صار علماً للاعتزال في اصطلاح مذهب المعتزلة[2] ، ويضيف البغدادي الى ذلك خلافهم للأمة في مسألة القـــدر فيجعلهـــا مع المنزلة بين المنزلتين سبب التّسميّة[3] .

والأقرب في هـذا المضمار أن تكون التّسميّة صادرة من الحسن البصري لا من قتادة بن دعامة السّدوسي كما يذهب الى ذلك ابن خلكان الـّذي يجعل قتـــادة - وهو من أصحاب الحسَن ومن أعلام التّابعين المشهورين بالعلم وكان أكمه - يؤمّ حلقة عمرو بن عبيد وصحبه ظنّاً منه أنّهـــا حلقة الحسن . واذا به يفطن - حـــال جلوسه - الى حقيقتهم ، فيقول : (إنّما هؤلاء المعتزلة !! وقام عنهم فسمّوا معتزلة من وقتها[4]، وذلك لأنّه إذا كانت التّسمية تعود لاعتزالهم حلقة الحسن فقد

---

(١) فضل الاعتزال ٧٣ .

(٢) المعتزلة ٣ - ونحوه مـا قاله البلخي في كتابه مقالات الاسلاميين - فضل الاعتزال ١١٥ .

(٣) الفرق بين الفرق ٢٠ - فضل الاعتزال ١٩ وفيه أن (عمرو بن عبيد كان يرى رأي القـــدر يدعو اليه ، واعتزل الحسن هو وأصحاب له فسموا المعتزلة) .

(٤) المعتزلة ٢ - ٣ .

تمّت قبل حدوث قصّة قتادة هذه ، واذا كانت لاعتزالهم قول الأمّة فالحسن كان واقفـاً على ذلك من اللّحظة الأولى وقد غضب لتوّه وطرد الحسن ، أو طرده وعمرو بن عبيد معاً .

هذا وقد أطلق عليهم خصومهم مع تطوّر فرقـة المعتزلة وتشعّب عقيدتها وآرائها أسماء كثيرة منها :

المجوسيّة : لشبههم بهم في القول بالثّنويّة ، ثنويّة الخير والشرّ والنّور والظّلام .

والثّنويّة : لقولهم الخير من الله والشرّ من العبد[1] .

والوعيديّة : لقول المعتزلة بالوعد والوعيد .

والمعطّلة : لنفيهم وتعطيلهم صفات الله خشيـة الوقوع في الشّرك[2] .

والقدريّة : [3] لنفيهم القضاء والقدر .

---

(١) يقول ابن حجر : « الذي فرق بين الخير والشر فنسب الى الله الخير ونفى عنه خلق الشر وان قيل لا يعرف قائله فانه في الحقيقة رأي المجوس » فتح الباري ٢٩١/١٤ .

(٢) المعتزلة ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٣) القدري : « هو من يزعم أن الشر فعل العبد وحده » هدي الساري ٢٣٣/٢ .

ولم يكونوا ليرتاحوا لهذه التسميات سيا وقد أثر عن النبي ﷺ قوله : « القدرية مجوس هذه الأمـــة ، فان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوا جنائزهم »[1] .

كما أن أسماء كثيرة مشتقة من عقيدة من عقـائدهم قد تطلق على بعض فرقهم أو تعمهم جميعاً . من ذلك أنهم سموا :

الحرقية : لقولهم لا يحرق الكفار الا مرة .

المفنية : لقولهم بفناء الجنة والنار .

اللفظية : لقولهم ألفاظ القرآن مخلوقة .

القبرية : لانكارهم عذاب القبر[2] .

وأما ما ذهب اليـه أحمد أمين ـ اعتماداً على مـــا كان قد طالعه في خطط المقريزي من أن بعض اليهود الداخلين في الاسلام أطلقوا على أصحــاب واصل اسم المعتزلة قيـــاساً على احدى

---

(١) فجر الاسلام ٢٨٤ ـ مناقب الشافعـــي ٤١٣/١ والحديث أخرج نحوه أبو داود ٥٢٥/٢ . وقـــد قال عنه الحاكم في المستدرك بأنه صحيح على شرط الشخين ان صح سماع أبي حازم من ابن عمر، وأقره الذهبي على هذا وقد تصدى ابن حجر للرد على من ادعى انه منقطع أو موضوع ، وبين انه صحيح على شرط مسلم الذي يكتفي في الاتصال بالمعاصرة — انظر مناقب الشافعي ٤١٣/١ هامش رقم ٢ — م .

(٢) المعتزلة ٢ هامش رقم ١ —

الفرق اليهودية التي ظهرت بعد عودتهم من الأسر البـــابلي[1] والتي كانت قد بحثت في مسألة القــدر كالمعتزلة ، فان زهدي جار الله يستبعدها لأن انفصال الفرقتين تم بطريقتين مختلفتين[2] على حد قوله .

ويذهب فريق آخر من الدارسين الى أن المعتزلة اختــاروا لأنفسهم هذا الاسم : اما لاعتزالهم فئتي الضلالة – في زعمهم – أهل السنة والخوارج[3] . أو لأنهم كانوا يعتزلون الناس للعبادة والزهد[4] .

وذكر الزركلي في أعلامــه أن واصلا سمى أصحابه بالمعتزلة « لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري[5] .

كما أن ابن المرتضى الزبيدي اليمني في كتابه المنية والأمل ، يحـــاول تبرير التسمية والرد على البغدادي مبيناً أن المعتزلة لم يخالفوا اجماع الأمة وانمـــا خالفوا الأقوال المحدثة والمبتدعة واعتزلوهـــا فكأنمـــا اشتق اسمهم من اعتزالهم البدع كما يقول

---

(١) تسمى الفروشيم Pharisees .

(٢) المعتزلة ٣ ، ٤ . –

(٣) القاموس المحيط ١٥/٤ .

(٤) فضل الاعتزال ١٢ – وممن يذهب هذا الرأي فولد زيهر (المعتزلة٣).

(٥) الاعلام ١٢٢/٩ .

زهدي جار الله[1].

ويستدل هذا الفريق بما يحشد المعتزلة من الآيات والأحاديث التي تؤيد تسميتهم وبالتالي مذهبهم وتبرز مدى اعتزازهم بتلك التسمية[2] فمما يستدلون به من الآيات: قوله تعالى: ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾[3] وقالوا: لا يكون الهجر إلا بالاعتزال والتنحي. وقوله تعالى: ﴿واعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾[4]. وقوله عز وجل في قصة أصحاب الكهف: ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله﴾ وفي كلا الآيتين لفظ الاعتزال مذكور صراحة.

ومن اوحاديث التي يحتجون بها على خلوص تسميتهم من معاني الزيغ ومفارقة الجماعة قول الرسول ﷺ: (من اعتزل الشر سقط في الخير)[6]. وهم لا يتورعون عن تحريف بعض

---

(١) المعتزلة ٤.

(٢) انظر فضل الاعتزال ١٦٥ ـ ١٦٦، والمعتزلة ٤، ٥.

(٣) المزمل ١٠.

(٤) مريم ٤٨،

(٥) الكهف ١٦.

(٦) لا أثر لهذا الحديث في الكتب التسعة. انظر مادة ع ز ل في ونسنك.

المبارات في حديث الرسول، فمن ذلك أنهم يروون بسندهم عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: (افترقت بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين فرقـة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة أبرها وأتقاها الفئة المعتزلة [1] ، وينسبون الى سفيان الثوري أنه قال لأصحابه : تسموا بهـذا اللقب . فقـالوا له : سبقك بها عمرو بن عبيد وأصحابه . فصار سفيان يروي الفئة الناجية بدل المعتزلة [2] !؟

وبذلك يكونون قد ألصقوا بالثوري تهمـة تحريف حديث الرسول ﷺ ان صح هذا الحديث أساساً [3] .

والذي اشتهر به المعتزلة انهم يتسمون بأهل العدل والتوحيد (وعنوا بالتوحيد ما اعتقدوه من نفي الصفات الإلهية لاعتقادهم ان إثباتها يستلزم التشبيه ومن شبه الله بخلقه كفر [4] أما العدل فأرادوا به تنزيه الله عن الظلم وذلك بجعـل الانسان خالقـاً

---

(١) فضل الاعتزال ١٦٦ .

(٢) المعتزلة ٤ ، ٥ .

(٣) خرج البغدادي ، في الفرق بين الفرق طرقه (انظر ص٤ ، ٩) وعلق عليها محمد محيي الدين عبد الحميد فذكر أن العلماء اختلفوا في صحته فنهم من ذهب الى ضعفه كابن حزم ومنهم من اكتفى بتعداد رواته من الصحابة انظر ص ٧ هامش رقم ٥ .

(٤) فتح الباري ١٧/١١٢ .

لأفعاله حراً في اختياراته دون قضاء وقدر مسطور في الأزل[1].

ولعله من المفيد أن نشير الى ما يذهب اليه بعض الدارسين من ربط معتزلة واصل بمعتزلة فتنة معاوية . فمن ذلك أن أبا محمد الحسن النوبختي يرى أن اعتزال بعض الصحابة للحياة السياسية ، وامتناعهم عن محاربة علي ونصرته بعد دخولهم في بيعته يعتبر بداية ظهور المعتزلة ، ثم إنّه يعد هؤلاء المحايدين أسلاف المعتزلة الى آخر الأبد[2] .

ولئن عارض البلخي المعروف بالكعبي رأي النوبختي مستشهداً بما كان عليه جمهور المعتزلة من تعاطف مع علي (ض) حيث كانوا يصوبونه ويضللون من ناوأه ويتبرّؤونَ ممن لم يتلب عن محاربته[3]، فان بعض النقاد يميل الى رأي النوبختي ذلك أن البلخي — في تقديرهم — متعصب لعلي . فرغبته في اظهار أصحابه موالين لعلي أملت عليه رأيه ذلك ، فضلاً عما كان يعرف به واصل وعمرو من التوقف في شأن المشاركين في حروب علي[4] ومما يدعمون به موقفهم هذا ما اعتقده المستشرق نلينو

---

(١) انظر فجر الاسلام ٢٩٦ .

(٢) فضل الاعتزال ١٣ .

(٣) المصدر السابق ١٣ — ١٤ .

(٤) المصدر السابق ١٣ — ١٤ .

من وجود علاقة بين معتزلة الفتنة السياسيين سنة ٣٥ هـ وما والاها من الفتن وبين المعتزلة المتكلمين الذين نهض واصل وعمرو ابن عبيد بتأسيس فرقتهم . وكان نلينو بدوره يعول على ما أطلقه أبو الفدا من اسم « المعتزلة » على من آثر الجلوس على الربوة حتى لا تستشرفه الفتنة فينساق الى تأييد علي أو خذلانه[١] .

وقد تبنى أحمد أمين[٢] رأي نلينو كما التزمته الموسوعة الاسلامية حيث جعلت ظهور المعتزلة مرتبطاً بعامل سياسي كَظُهُور الشيعة والخوارج ويقرب من هؤلاء الملطي حيث جعل ظهورهم مرتبطاً بالفتنة إلا أنه أرجأ ظهورهم الى السَّنَةِ التي بايع فيها الحسنُ معاويةَ ، اذ حز تنازله عن حقه في الخلافة في نفوس بعض أحباء علي وشيعته فاعتزلوا السياسة والناس جميعاً وحولوا وجهتهم نحو العبادة والعلم فسموا بذلك معتزلة[٣] .

والذي نميل اليه في هذا الباب أن العلاقة بين معتزلة واصل وعمرو بن عبيد انما هي علاقة اسمية ، ذلك أن الدوافع والأهداف والظروف التي انبثق فيها الاعتزالان متغايرة تماماً .

---

(١) فضل الاعتزال ١٣ ـ ١٤ .

(٢) ادب المعتزلة ١١٠ .

(٣) فضل الاعتزال ١٥

فالاعتزال الأول كان ناشئاً عن عوامل سياسية على حـد تعبير بعض الدارسين، وهي التزام الحياد ازاء اشتداد الفتنة واختلاط السبل . وهذا الموقف لعله اجتهاد منهم في تفسير قول الرسول ﷺ : ستكون فتن القاعد فيها خـير من القائم والقائم خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليلذ به[1] .

بينما اعتزال واصل انما نشأ عن موقف عقـدي معين حول مصير مرتكب الكبيرة[2] ؟.

وبذلك نستطيع القول : إنّ السبب المبـاشر لظهور فرقـة المعتزلة هو حـادثة انفصال واصل عن حلقة أستاذه الحسن البصري بعد أن ابتدع مقـالته في المنزلة بين المنزلتين . هذه المقالة التي تكاد تجمع كل المصادر على أن واصلاً أول من أظهر القول فيها[3] على أن هذا لا يمنع من أن يكون ظهورهم صدى للتيـارات الفكرية والعقائد الدينية اليهودية والنصرانيـة ، وللاتجاهات السياسية المتسترة بالقناع الديني المحتدمة بين المسلمين في ذلك العصر، اذ أن الحكم على مرتكب الكبيرة ادانة أو تبرئة

---

(١) البخاري – كتاب الفتن فتح الباري ١٦/١٣٩ – مسلم ٤/٢٢١٤.

(٢) انظر أدب المعتزلة ١١٣ .

(٣) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٥ – فضل الاعتزال ١٧ .

للمشاركين في الفتنة ، وهو ما جعل أحمد أمين يحكم على موقف المعتزلة بالموالاة للأمويين ، بينما جعلت الموسوعة الاسلامية موقفهم متقرباً من الشيعة[1] ، ولا ندري كيف توصلا الى هذا الاستنتاج . وقد فسّق واصل أحد الفريقين لا بعينه في حين فسّقهما معاً عمرو بن عبيد[2] .

نعم نجد منهم من ينتسب للعلويين فيما بعد لكسب عاطفة جماهيرهم[3] وتأييد رؤسائهم ، لكن لا نملك من الأدلة ما يثبت ذلك بالنسبة الى منطلق الاعتزال على يد واصل وعمرو بن عبيد .

على أنه حين نحاول وضع حركة الاعتزال في موضعها من رقعة المذاهب والتيارات في ذلك العصر يمكننا القول مع « هلاملتون » انها كانت الانعكاس الطبيعي « للتطرف الخارجي من ناحية والتراخي الخلقي لجماعة المرجئة من ناحية أخرى[4] » .

أما عن تحديد الفترة التي ظهرت فيها حركة الاعتزال فان جل النقاد يربطون ظهورها بفترة فتوة واصل وعمرو واكتمال

---

(١) أدب المعتزلة ١٢٩ .
(٢) ملل الشهرستاني ٤٩/١ – الفرق بين الفرق ١٢٠ ، ٣٢٠ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ٢٠٣ .
(٣) أنظر أدب المعتزلة ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .
(٤) أدب المعتزلة ١٢٧ .

مداركهما بحيث يتأهلان لِلْبَحْثِ في مثل هذا الموضوع الخطير :

فتذهب الموسوعة الاسلامية الى أن ظهورهـــا كان ما بين ١٠٥–١٣١هـ فترة نشاط واصل وعمرو ، في حين يذهب زهدي جار الله الى أنها ظهرت ما بين ١٠٠ هـ و ١١٠ مستدلاً على ذلك بأن واصلا وعمـراً لا يمكن أن يبدآ الحركة دون بلوغ العشرين من سنهما وقد ولدا سنة ٨٠ هـ ، كما لا يمكن أن يتجاوز ظهورها سنة ١١٠ هـ وهي السنة التي توفي فيها الحسن . كما يستظهر بما قاله المقريزي من أن المعتزلة ظهروا بعد المائة الأولى أيام الحسن البصري[١] وهو مـا ذهب اليه طاش كبرى زادة في مفتـاح السعادة[٢] .

بينما يقـدم صاحب كتـــاب أدب المعتزلة تاريخ ظهورهم فيجعله فيما بين ٩٨ هـ و ١٠٠ هـ اذ يرى أن اكتمال عقلي واصل وصاحبه انما يكون في حدود الثامنة عشرة من عمرهما[٣].

وهكذا نستطيع القول ان المعتزلة قد ظهروا في أواخـر القرن الأول على عهد الحسن البصري في مدينة البصرة المركز

---

(١) فضل الاعتزال ٢٠ – المعتزلة ص ١ .
(٢) فضل الاعتزال ٢٠ .
(٣) أدب المعتزلة ١٠٩ – ١١٠ .

الثقافي المزدهر بمختلف النشاطات الفكرية بسبب انفصال واصل عن شيخه ليقرر ما ابتدعه من القول بالمنزلة بين المنزلتين.

واذا كان الدارسون القدامى بما فيهم علماء المعتزلة[1] أطلقوا عنوان فرقة على المعتزلة فان زهدي جار الله يرى أن الأولى تسميتهم بمدرسة كلامية اذ لم تكن لهم ما كان لفرق الشيعة والخوارج وغيرهما من نظم دينية مميزة[2].

(١) من ذلك أن القاضي عبد الجبار يجعلهم احدى فرق الامة (فضل الاعتزال ١٦٤).

(٢) المعتزلة ١ حاشية رقم ١



مُحاولة المُعتزلة نسبَة مَذهبهم إلى الرسُول ﷺ أو إلى عَلي أو الحسَن البصْري

يحاول الكثير من أعلام المعتزلة ربط مذهبهم بالرسول ﷺ بل يدعون أن اسنادهم المتصل بالرسول ليس لأحـد من فرق الأمة مثله[1] . كما يحـاول بعضهم ربط مذهبهم بآل البيت أو بالحسن البصري .

وصنيعهم يعود الى احتمالين اثنين :

١ — إما الى تعلقهم بمبادئهم واعتزازهم بها .

٢ — وإما الى احساسهم بالانعزالية نتيجـة اعتزالهم رأي الجمـاعة ، واستمداد مذهبهم الكثير من أصوله وجزئياته من مصادر فلسفية ودينية أجنبية الأمر الذي جعل الجماهير المسلمة تتجنبهم .

فهذا البلخي يجعل واصلاً وعمرو بن عبيد يأخذان علمهما

---

(١) من مقالات الاسلاميين للبلخي — فضل الاعتزال ٦٨ .

عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الذي أخذ العلم بدوره عن أبيه محمد بن الحنفية الذي تلقى علمه عن علي بن أبي طالب، وعلي نشأ في حجر النبي ﷺ، ونهل من علمه وتخلق بأخلاقه وكان قد آمن به وسنه - كما تقول كتب السيرة[1] لا تتجاوز عشر سنوات، وقد شهد معه المشاهد كلها ولزمه حتى الوفاة. ويروون أن أبا هاشم سئل عن مبلغ علم أبيه محمد بن الحنفية فقال: اذا أردتم معرفة ذلك فانظروا الى أثره في واصل بن عطاء[2] كما أن دخول الشيعة الى الإعتزال في القرن الرابع أو ارتماء المعتزلة في أحضان الشيعة، جعلهم ينسبون مذهبهم الى علي تعصباً.

أما ابن المرتضى في أماليه فيقول: ان قول المعتزلة مأخوذ من كلام علي[3].

والى جانب تلك الأسانيد التي يحشدونها فانهم يحاولون الإستشهاد ببعض الحوادث الدامية التي وقف فيها المعتزلة الى جانب البيت العلوي في نضاله لافتكاك السلطان مثل خروجهم مع ابراهيم بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب[4]. ومناصرتهم للبيت العلوي بالمغرب[5] سنة ٢٩٠ هـ.

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٤٥.
(٢) - (٣) أدب المعتزلة ١١٢.
(٤) فضل الاعتزال ١١٧.
(٥) فضل الاعتزال ١١٩.

ونجد من المعتزلة من ينسب مذهبهم الى الحسن البصري [١] ذلك أن خلاف الحسن وواصل حول مسألة واحدة وهي المنزلة بين المنزلتين لا يوجب اختلافهما في كل المسائل سيما وواصل تلميذ الحسن وعنه تلقى معارفه .

وقد بلغ بهم الأمر الى تأليف رسالة نسبوهـــا الى الحسن وادعوا أنه وَجَّهَهَا الى عبد الملك بن مروان أجابه فيها عن سؤاله اياه حول القدر ، وقد أبطـــل الشهرستاني نسبة هذه الرسالة الى الحسن وبيّن أنها لواصل لأن الاجابة «توافق مذهب القدرية » ولأن الحسن ما كان « ممن يخالف السلف في أن القدر خيره وشره من الله تعالى ، فان هـــذه الكلمات كالمجمع عليها عندهم » [٢] .

وفي الحقيقة فان الحسن لا يمكن أن يكون معتزلياً وذلك:

١ ــ لأن الحسن يعتبر القول بالمنزلة بين المنزلتين بدعة تخرج صاحبها عن عقيدة الجماعة [٣] .

٢ ــ ولأن المعتزلة أنفسهم لا يطلقون هـــذا الاسم الا عمن

---

(١) فضل الاعتزال ١١٩ .
(٢) ملل الشهرستاني ٤٧/١ .
(٣) أدب المعتزلة ١١٦ .

آمن بأصولهم الخمسة كما سنبين ذلك [١] .

وبالاضافة الى مـا حاولوه بالنسبة للسند من ربطه بالرسول ﷺ تارة وبعلي أخرى وبالحسن البصري ثالثة ، فاننـــا نجدهم يحاولون نسبة مذهبهم كذلك الى الكتاب والسنة بل الى السلف الصالح : فهذا القاضي عبد الجبار يستجيب لدعوة الصاحب بن عباد في تأليف كتاب عـــن المعتزلة ، ويكتب في مقدمته : (يجب أن املي كتاباً في أن مذهب المعتزلة هو الذي يقتضيه العقل والكتاب والسنة وهو الذي مر عليه السلف والخلف [٢] ويذكر في موضع آخر من كتابه قوله : (ليعرف من قرأ كتابنا أن التمسك بالسنة طريقتنا) [٣] . وحين يتحدث عن طريقتهم يذكر أن أصحابه قد (بينوها بحجج العقل والكتـاب والسنة والاجماع) وامعانـاً منهم في اثبات نسبة مذهبهم الى السلف ، نجدهم يتعلقون بأبسط التهم التي تنسب لبعض السلف ويحولونها الى حجج تسند جانبهم من ذلك أنهم يجعلون أبا الاسود الدؤلي أول من تكلم في القدر [٤] ويجعلون محمد بن اسحاق (ت ١٥١ هـ) وعمرو بن دينار ووهب بن منبه يرون القـدر [٥] . وَللرَّفْعِ من قيمة

---

(١) أنظر ص ١٧ .

(٢) فضل الاعتزال ١٦٨ .

(٣) فضل الاعتزال ١٥٦ .

(٤) فضل الاعتزال ٧٩ .

(٥) فضل الاعتزال ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ .

يرى القدر وابرازه في مظهر المتأثر بمقالات الصحابة وآرائهم ، يضيف البلخي : (وجالس عمرو بن دينار من أصحاب النبي ﷺ عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وجابر بن عبد الله وروى عن كلهم[1] .

وينسبون ابن أبي نجيح (ت ١٣١ هـ) الى الاعتزال بل هو عندهم من رؤساء الدعاة[2] ، كما أن الجاحظ يحكي عن وهب وهمام ابني منبه أنهما يقولان بالعدل دون الاعتزال[3] .

وإنّ كل ما يحشدونه من الحجج لنسبة مذهبهم الى الرسول والسلف الصالح ولاظهار كثرة أتباعهم من التابعين والعلماء ليشير الى ما كانوا يعانونه من العزلة وهذا المعنى يجلوه قول القاضي عبد الجبار مخاطباً الصاحب ابن عباد : (ولكي يأنس الأمير بكثرة موافقيه من العلماء) .

فالمعتزلة اعتزلهم علماء الجماعة بقدر ما اعتزلوا هم قول الأمة في قضايا اعتقادية كثيرة ، كما أن الجماهير المسلمة تبعاً لتوجيه علمائهم قاطعوهم ذلك أنهم مدعوون الى تجنب البدع والمبتدعة . والمعتزلة يعتبرون عند علماء السنة والجماعة من أخطر المبتدعة .

---

(١) فضل الاعتزال ٨٢ .
(٢) فضل الاعتزال ٨٣ .
(٣) فضل الاعتزال ٨٥ .

بين
المعتزلة والقدرية والجهمية

لقد عرف العالم الاسلامي حركات فلسفية متطرفة اثر دخول أفواج من الأمم ذات الديانات والفلسفات الوثنية الى الاسلام ، ولعل من أولى تلك الحركات الهدمية القدرية ثم الجهمية وهي تسمى أيضاً الجبرية التي قامت كرد فعل على القدرية .

القدرية :

والقدرية هم أولئك الذين يعتقدون أن الانسان صانع أفعاله وخالقها خيرها وشرّها [١] ولا دخل لقدرة الله فيهما . وأول من تكلم في القدر في العالم الاسلامي نصراني من أهل العراق أسلم ثم تنصر ، وقد استطاع أن ينفذ الى قلب معبد الجهني الذي أخذ عنه مقالته ،وعن معبد تلقاها غيلان الدمشقي ، فكان هذا الثالوث المستراب أول من أحدث هذه البدعة التي

---

(١) يقول ابن حجر : القدري : (هو من يزعم أن الشر فعل العبد وحده) هدي الساري ٢/٢٣٢ .

نهى الرسول ﷺ عن الجدل فيها[1] .

الجبرية :

وكرد فعل للقدرية برزت عقيدة تقول : ان أفعال الانسان خيرها وشرها من الله وأن نسبتها الى العبد انما هي على سبيل المجاز كقولنا جرى النهر وانما الذي أجراه حقيقة هو الله ، فالانسان في زعمهم كالريشة في مهب الريح (ولهذا قيل ان الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد)[2] .

وبالاضافة الى هذه العقيدة فان الجبرية تدين :

بنفي صفات الله تعالى وأسمائه[3] . وبما أن الكلام صفة من صفاته تعالى فهو في زعمهم حادث .

ولئن نسبت هذه الفرقة الى جهم بن صفوان[4] فقيل عنها جهمية ، فان الجعد بن درهم يعد هو المؤسس الأول لها ، فهو أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته[5] .

---

(١) أدب المعتزلة ١٢٠ .

(٢) ملل الشهرستاني ٤٣/١

(٣) منهاج السنة النبوية ٤٨٤/٢ .

(٤) (وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني امية) ملل الشهرستاني ٨٦/١ .

(٥) ملل الشهرستاني – هامش رقم ١ – ٨٦/١ .

والى جانب هذا فان الجهمية تقول بانكار الرؤية[1] .

وتلاشت كل من القدرية والجهمية الا أن المعتزلة ورثتها وامتصت مبادئها لتظهر من جديد قوية على يدهم ، حتى أن الامام الشافعي يجعل واصلاً وعمراً وغيلان الدمشقي في صف واحد[2] ولعل هذا هو السبب في تسميتهم بالقدرية والجهمية :

فهم قدرية :

لأنهم ورثوا عن القدرية القول بنفي القدر ، ونسبة الأفعال كلها الى العبد بلا تأثير من الله[3] .

وهم جهمية :

لأنهم ورثوا عنهم القول بنفي الصفات وخلق القرآن وانكار رؤية الله تعالى يوم القيامة[4] .

ولهذا قال ابن تيمية (فكل معتزلي جهمي وليس كل جهمي معتزلياً)[5] ذلك أن المعتزلة يختلفون مع الجهمية في الجبر اذ

---

(١) المعتزلة ٨ — أدب المعتزلة ١٢١ .
(٢) فضل الاعتزال ٨٤ .
(٣) أدب المعتزلة ١٢٢ .
(٤) أدب المعتزلة ١٢٣ .
(٥) منهاج السنة ٢/٤٨٤

ينفون القدر في حين يثبت الجهمية الجبر[1] .

والمعتزلة لا يرتضون هذه التسمية اذ يرون أن مثبتي القدر أولى بأن يسموا قدرية وينفرون كذلك من الانتساب الى الجهمية لأن جهماً يقول بالجبر فضلاً عن كونه غير تقي[2] يقول بشر بن المعتمر: ننفيهم عنا ولسنا منهم ولا هم منا ولا نرضاهم[3].

وانما يؤثرون أن يتسموا بأهل العدل والتوحيد ، كما يطلقون على أنفسهم الفرقة الناجية ، وقد سأل المنصور عمرو بن عبيد أن يعينه بأصحابه فأجابه :

(ارفع علم الحق يتبعك أهله)[4] اشارة الى أنهم هم أهل الحق .

---

(١) فجر الاسلام ٣/٢٨٧ .
(٢) فجر الاسلام ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
(٣) المعتزلة ٩ .
(٤) المعتزلة ٦ .

مفهوم الإيمان عند المعتزلة

لم يجد المسلمون الأوائل حاجة للبحث في طبيعة الايمان وهل هو قول أو فعل أو هما معاً ، وهـــل هو يزيد وينقص أم هو خصلة واحدة لا تزيد ولا تنقص حيث كان الايمـان عندهم على غاية من الوضوح ، حتى اذا ما تسربت الفلسفـــات والمذاهب الأجنبية الى الاسلام عن طريق الداخلين الى الاسلام ، ظهرت مثل هذه الأبحاث ، ويقول القاضي عبد الجبار (ان هذا القول حــدث في أيام الحسن بن محمد بن الحنفيـــة ، وأنه أول من أظهره)[١] .

ولئن اتفقت كل الفرق الاسلامية على ان الايمان هو التصديق بما أخبر به الرسول ﷺ عن ربه[٢] فانهم اختلفوا حول الجانب التطبيقي لهـذا التصديق ، فمن الفرق من اعتبر العمــل شرط صحة للايمان ومنها من اعتبر العمل شرط كمال الايمان ومنها من اسقط العمل اطلاقاً :

---

(١) فضل الاعتزال ١٥٩ .

(٢) فتح الباري ٥١/١ .

فاذا كان المرجئة يكتفون في الايمـان بالتصديق بالقلب ، وتضيف بعض فرقهم النطق باللسان ، ويقولون : (لا يضر مع الايمـــان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة) ، فان الخوارج لا ينسبون شخصاً الى الايمان الا متى كان يأتي بالفرائض ويكف عن الكبـــائر ، حتى أنهم يعتبرون مرتكب الكبيرة كافـراً مخلداً في النّـار[1] .

بينما اعتبر المعتزلة العمـل شرط صحة في ثبوت الايمـان ، فقـالوا : الايمـــان هو تصديق بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح[2] . وأما من ارتكب ما يفسقه فهو (لا مؤمن ولا كافر) أي أنه في (منزلة بين المنزلتين)[3] .

ومما يستدلون به على أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)[4] . فلا يجوز – على ملحظ القاضي عبد الجبار – أن يكون الرسول ﷺ (رؤوفاً رحيماً بمن يقيم عليه الحـد من أهل الكبائر وبمن يلعنه)[5] . وهم يخلـّدون

---

(١) فضل الاعتزال ١٥٩ .
(٢) فتح الباري ١/٥٢ .
(٣) مقالات الاسلاميين ١/٣٣١ .
(٤) التوبة ١٢٨ .
(٥) فضل الاعتزال ١٦١

مرتكب الكبيرة الذي لم يتب في النار غير أنهم يجعلون عذابه أهون من عذاب الكافر[1] ولعل هذا ما جعل بعضهم يطلق عليهم مخانيث الخوارج لأن المعتزلة سيما شيخيهم الأولين: واصل وعمرو كانا يوافقان الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار مع قَوْلهما أنه ليس بكافر[2] .

ويحتج المعتزلة لما ذهبوا اليه بعدد من الآثار منها قوله ﷺ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) وقوله : (لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له) [3] وغيرها .

وفهمهم هـذا للايمان يوجب أن يكون الايمان عندهم خصلة واحدة فلا يزيد ولا ينقص ، اذ متى قيل انه يزيد وينقص كان شكاً[4] حسب رأيهم .

---

(١) ملل الشهرستاني ٤٥/١ (وهو الوعد والوعيد) .
(٢) المعتزلة .
(٣) فضل الاعتزال ١٥٩ .
تخريج : الحديث الاول : البخاري - كتاب المظالم - باب النهي بغير اذن صاحبه - فتح الباري ٤٥/٦ مسلم كتاب الايمان بيان نقصان الايمان بالمعاصي ٧٦/١ .
تخريج الحديث الثاني : أخرجه أحمد في مسنده ١٣٥/٣ (المعجم المفهرس لالفاظ الحديث ١٢٠/١) .
(٤) فتح الباري ٥٢/١ .

ويورد أبو الحسن الأشعري في مقالات الاسلاميين انقسام المعتزلة حول فهم الايمان الى ستة أقاويل[1] مما يبين شدة اختلافهم وعدم اتفاقهم حتى ازاء قضية أساسية كالايمان ، وقد انقسموا الى فرق كثيرة عدد البغدادي منها اثنتين وعشرين فرقة[2] .

فنجد منهم من يعمد الى افراغ الايمان من كل محتوى من ذلك مثلا أن ابراهيم النظام يرى أن الايمان انما هو اجتناب الكبير فحسب ، ويلزمه البغدادي — بناء على هذا المفهوم — أن تكون (الأقوال والأفعال ليس شيء منها ايماناً ، والصلاة عنده وأفعالها ليست بايمان ولا من الايمان وانما الايمان ترك الكبائر فيها)[3] .

أما جعفر بن مبشر فإنه ذهب الى أن في فساق هذه الأمة من هو شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة ، وزعمه هذا يتضارب بدون شك مع قوله (ان الفاسق موحد وليس بمؤمن ولا كافر)[4] اذ لا يجوز شرعاً وذوقاً أيضاً أن يكون الموحد أشر من الكافر .

---

(١) مقالات الاسلاميين ٣٢٩ - ٣٣٢ .

(٢) الفرق بين الفرق ١١٥ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٤٤ .

(٤) الفرق بين الفرق ١٦٨ .

ويذهب أبو الهذيل العلاف الى أن العمل قد يكون طاعة لله وأن العامل لا يُرِيدَ الله بعَمَلِهِ[1]، ويلتمس العلاف لكل صاحب هوى أو زنديق منفذ طاعة لله في أشياء كثيرة وإن عصاه من جهة كفره[2]. وهو بهذا يضربُ صفحاً عن وجوب اخلاص النية لقبول الأعمال جميعاً كما وضح ذلك الحديث الصحيح (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى)[3].

والمعتزلة في كل ما ذهبوا اليه يخالفون السلف الصالح الذين ذهبوا بتوجيه من الكتاب والسنة الى أن الايمان هو (اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمـــل بالأركان ، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله)[4] .

والفرق بينهم وبين المعتزلة هو أن هؤلاء جعلوا العمل شرطاً في صحة الايمان بينما أولئك جعلوا العمل شرطاً في كماله. ولذلك فان صاحب الكبيرة من أمة الاسلام يعتبر عند أهـل السنة والجماعة مؤمناً لما يقر به من ايمـان بالرسل والكتب المنزلة من الله ولتصديقه بكل ما جاء من الله تعالى الا أنه فاسق بكبيرته، وفسقه لا ينفي عنه اسم الايمان والاسلام وعلى هذا القول ...

---

(١) فضل الاعتزال ٦٩ – الفرق بين الفرق ١٢٥ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٢٥–١٢٦ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه – انظر فتح الباري ١/١٣ .

(٤) فتح الباري ١/٥٢ .

مضى سلف الأمة من الصحابة وأعلام التابعين)[1] .

ومما تجدر ملاحظته أن المعتزلة تعتبر الايمـــان والاسلام والدين عبارات مترادفة ذات معنى واحد[2] ويستدل القاضي عبد الجبار على هذا المعنى بقوله تعالى : ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه[3](لأن الايمان ان كان غير الاسلام والعبادات أو كان فيها ما ليس من الايمان والاسلام والدين ، فيجب أن لا يكون مقبولاً)[4].

---

(١) الفرق بين الفرق ١١٨ .
(٢) فضل الاعتزال ١٦١ .
(٣) آل عمران ٨٥ .
(٤) فضل الاعتزال ١٦١ .

أُصُولُ المُعْـتَزِلَة

التزم المعتزلة أصولاً خمسة وجعلوا منها عنوانـاً لكل من يبغي الانتساب الى مذهبهم ، وهذه المبادىء هي :

١ ـ التوحيد .

٢ ـ العدل ولهذا يسمون أنفسهم بأهل العدل والتوحيد .

٣ ـ المنزلة بين المنزلتين .

٤ ـ اثبات الوعد والوعيد .

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١] .

فمن أنقص منها أو زاد عليها أصلاً واحداً لا يستحق لقب الاعتزال حتى أن أبا الحسن الخياط قال: (وليس يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة)[٢] .

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين ٣٣٨/١ فضل الاعتزال ٦٤ -المعتزلة ٥١ .

(٢) فضل الاعتزال ١٧ .

ويبدو أن الاعتزال في عصر البلخي (الكعبي) قد طرأت عليه تغييرات عدة فصار سمة لمن يقول بالتوحيد والعدل ولم يعتقد من سائر المقالات ما يزيل الولاء للمعتزلة أو يوجب عداوتهم .

أمـــا من لم يعتقد التوحيد والعدل فلا يمكن أن يوصف بالاعتزال ، وان قال بالمنزلة بين المنزلتين وبقية المبادىء الخمسة .

ويضرب أبو القاسم البلخي (ت ٣١٩ هـ) مثلاً عمن زال عليه لقب الاعتزال ورفضه أهله ضرار بن عمرو وأصحابــه ، لأنهم لم يؤمنوا بالتوحيد والعدل ، وان قالوا بالمنزلة بـــين المنزلتين [١] .

والذي نلاحظه هو أن هذه الأصول الخمسة ومــا تفرع عنها من آراء ومباحث لم يصدر المعتزلة في تقريرها جميعاً عن المصادر الاسلامية المعتمدة وانمـــا صدروا في الكثير منها عن مذاهب اللاهوت اليهودي و«المسيحي» وأصول الفلسفة اليونانية والديانات الفارسية [٢] .

فكثيراً ما تطالعنا في كتب الفرق أثناء الحديث عن أحد المعتزلة أو تحليل مبدأ من مبادئهم عبارات تثبت تأثرهم بهذه

---

(١) فضل الاعتزال ٧٥ .

(٢) أنظر أدب المعتزلة ١٢٣ .

المصادر الأجنبية مثل : (قـد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة [١]) ومثل : (اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة) [٢] و (هـــذا قول أخذوه عن اخوانهم من المتفلسفة) [٣] ولولا الخـوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره ومثل : (وقد أخذ العلاف عن أرسطوطاليس) [٤] .

فهم ولئن استندوا في آرائهم ومبادئهم الى القرآن وأصول الشريعة الا أنهم كثيراً مـا يستعينون بمذاهب الفلاسفة لتأييد آرائهم حتى اذا ما صدموا بالتنافر بين الشريعة والفلسفة عمدوا الى تلفيق التوفيق بينهما متناسين أن المنطلق الأول غير واحد، فالشريعة قائمة على الايمان بالتوحيد والفلسفة منشؤها الوثنية أو الالحاد .

الا أن هاملتون Hamilton يجعـل محاولتهم تلك تهدف الى (عرض مبادىء الدين في صورة مقبولة لدى المثقفين من الأعاجم ولسد تلـك الفجوة التي كانت سبباً في حمـــل كثيرين على الزندقة) [٥] .

---

(١) الملل والنحل ١/٥٣/٥٤ .
(٢) الملل والنحل ١/٥٠ .
(٣) مقالات الاسلاميين ٢/٢٧٧ .
(٤) مقالات الاسلاميين ٢/٢٨٨ .
(٥) أدب المعتزلة ١٣٨ .

ولا ندري ما المراد بالصورة المقبولة ؟ فان كان يريد بها خلو الشريعة من المنطق والرأي فهذا غير صحيح ، لأن الكتاب والسنة لا يتعارضان اطلاقاً مع العقل. وان الآيات الكثيرة التي تدعو إلى التدبر وأعمال النظر وإلى العلم الصحيح واجتهاد الرسول ﷺ والصحابة ومجالس الشورى العديدة التي تنضح ديموقراطية ومساواة وأخلاقاً عالية، واجتهاد الأئمة فيما بعد والتفريعات الكثيرة التي وصلوا إليها في إطار الإسلام . . . إنّ هذه المعاني جميعها تثبت أن الاسلام دين العقل والمنطق، ودين احترام آراء الآخرين ما دامت معتدلة ومؤيدة بالعقل وغير متنافرة مع الكتاب والسنة . أما القضايا الغيبية الماورائية فهذه لا يمكن أن تُخْضِعَهَا للعقل وحده لأنه أعجز من أن يفهمها ويستوعبها رغم ايماننا بقدرة العقل في غير القضايا الغيبية .

أما الفجوة التي كانت سبباً في حمل كثيرين على الزندقة - كما يقول هاملتون - فلا تعود ان صحت إلا الى تمسك القوم بتراثهم العقدي الملحد أو الوثني أو حتى العقيدة السماوية المنحرفة ، فلم يتفهموا الاسلام على حقيقته أو لم يَشَاؤُوا أن يفعلوا ، تحملهم على ذلك شعوبية عنصرية أو دوافع أخرى يحكمها الحِقْدُ.

وقد أثبت القدامى والمحدثون صدور المعتزلة في العديد من أصولهم عن الكثير من الآراء الأجنبية التي لا تنسجم وعقيدة التوحيد .

فعبد القاهر البغدادي يشير الى تأثر النظام وهو أحد كبار زعماء المعتزلة بالثنوية لأنه عاشر في شبابه قوماً منهم كما يبين أنه تأثر بقوم من ملحدة الفلاسفة بفعـــل مخالطته لهم في كبره ، وبالروافض لأنه خالط هشام بن الحكم الرافضي بـــل فحتى البراهمية لم يسلم النظام من التأثر بهم في إبطالهم النبوات [١] .

كما أن الدارسين الغربيـــين يثبتون تأثر المعتزلة بالتيارات والمذاهب الأجنبية عن الإسلام :

ففون كريمر Von Kremer يثبت تأثرهم في نشأتهم باللاهوت اليوناني وستينر Stainer يذكر تأثرهم في آخـــر تطوراتهم بالفلسفة اليونانية ، كما أن مكدونالد Macdonald يبـين تأثرهم بأساليب الكلام اليونانية . ودى بور de Beor يقول انهم تأثروا بعوامل مسيحية أبلغ التأثر .

أما هاملتون فيذهب إلى أن المعتزلة كانوا يصبون عقائدهم في قوالب الأفكار اليونانية ويستوحون تأملاتهم الدينيـــة من الميتافيزيقا اليونانية بدلاً من القرآن [٢] .

وهذه الحقائق كلها هي التي جعلت أهـــل السنة والجماعة

---

(١) الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) أنظر أدب المعتزلة ١٢٣ – ١٢٤ – ١٤١ – ١٤٢ .

ينفرون من الاعتزال ويتصدون لآرائه لدحضها وفضحها .

المنزلة بين المنزلتين :

بدأت بهذا الأصل لأنه يعتبر نواة مذهب الاعتزال ومنطلقه الأول ، وقد سبق أن صورت السبب الأول لنشوء هذا المذهب وما اكتنفته من ظروف سياسية وعقدية ، وأحداث عاشتها الأمة الإسلامية ، وبقيت تجتر مرارتها وآثارها ردحاً طويلاً من الزمن .

فالعلاقة بين نشوئهم وبين هذا المبدأ علاقة عضوية ، وهو أصل من الأهمية بحيث تكاد تتفق عليه كل فرق المعتزلة [١] .

وأول من نادى بهذا المبدأ وأظهر القول فيه واصل بن عطاء الغزال [٢] فقد سمي مرتكب الكبيرة فاسقاً على أساس أنه لا يستحق أن يسمى بالاسم الشريف الذي هو الايمان والاسلام، ولا بالكفر ، ومن سماه مؤمناً أو كافراً فانما سماه بذلك وهو لا يملك الدليل وعليه فالأولى به أن يسمى بالفسق، وهذا هو القول بالمنزلة بين المنزلتين [٣] وهو موقف استقل به عما دان به الخوارج والمرجئة .

---

(١) الفرق بين الفرق ١١٥ .

(٢) فضل الاعتزال ١٧ وانظر الفرق بين الفرق هامش رقم ٢ ص٢٠ .

(٣) فضل الاعتزال ٦٤ انظر فجر الاسلام ٢٩٧ .

ولرسوخ قدمه في هذا المبحث ألف واصل كتاباً عنون له بالمنزلة بين المنزلتين [1] وراح زعماء المعتزلة يؤيدون هذا الأصل بمزيد من الشرح والدرس وجمع الأدلة محاولة منهم أن يزيلوا عنه ما وصفه به السلف الصالح من الابتداع ، حتى أن القاضي عبد الجبار ذهب إلى أن هذا الأصل يروى مثله عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [2] ، وهم حين وضعوا مرتكب الكبيرة أو الفاسق كما يسمونه في المنزلة بين المنزلتين في الحياة الدنيا فانهم خلدوه في النار يوم القيامة [3] .

التوحيد :

لشدة تعلق المعتزلة بالعدل والتوحيد أطلقوا على أنفسهم اسم أهل العدل والتوحيد ، فهم يعتبرون أنفسهم أولى الناس بهذه العقيدة وأقدرهم على الدفاع عنها ضد كل التيارات الهدمية سواء منها دينية منحرفة أو فلسفية ملحدة .

وفعلاً فكتبهم حافلة بأخبار المجالس والمناظرات التي عقدوها لتجلية عقيدة التوحيد ودحض ما يتعلق به بعض الملاحدة والوثنيون من شبه ، كما ان ارتيادهم الآفاق وانتقالهم في

---

(١) فضل الاعتزال ١٧ – الاعلام للزركلي ٩/١٢٢ .

(٢) فضل الاعتزال ١٦١ .

(٣) ملل الشهرستاني ١/٧٠/٨١ .

الأمصار، وارسالياتهم المتعددة لمناقشة المخالفين ومجادلة الملحدين والمعاندين كي تتركز عقيدة التوحيد في البلاد المختلفة ، كل هذه البوادر تثبت جهدهم المتواصل لنصرة عقيدتهم .

وكان زعماؤهم في مقدمة المناضلين لِغَرْسِ هَذِهِ العقيدة لا تحول بينهم وبينها المخاطر والأتعاب حتى أن أحد شعرائهم نوّه بخصال وأصل فقال:

ملقن ملهم فـــيما يحاوله : جم خواطره جواب آفاق[1]

ولتعلقهم بالتوحيد نجدهم يحضون للدفاع عنه وبيان معالمه كتباً كاملة من ذلك ما ينسب لواصل بن عطاء باسم خطب في التوحيد والعدل [2] ، ومـــا ينسب لأبي رشيد سعيد بن محمد النيسابوري بعنوان « في التوحيد » [3] .

ورغم ايمانهم بأن كل مكلف معه دليل معرفة الله بصفاته ، فانهم يحشدون ما توفر لديهم من الآثار التي تثبت التوحيد ليشدوا بها ازر مذهبهم مثل قوله (ص) : (رأس العلم معرفة الله حق معرفته ، بأن تعرفه بـــلا مثل ولا شبيه ، وانه عالم قادر

---

(١) أدب المعتزلة ١٥٠ .

(٢) فضل الاعتزال ١٨ .

(٣) حققه محمد عبد الهادي ابو ريدة وطبعتـــه المؤسسة العامة للتأليف والنشر .

واحد)[1] .

إلا أن المعتزلة غـلوا في التوحيد والتنزيه حتى وقعوا في المحظور وانحرفوا عن المهيع الرشيد ، أوقعهم في ذلك تأثرهم بالفلسفات الدّخيلة التي تحولت الى مشرع ينهلون ويقتبسون منه الكثير من آرائهم فذهبوا الى :

أ – نفي صفات الله الأزلية. ب – وبالتالي نفي أزلية كلامه فأحدثوا القول بحدوث القرآن . ج – كما نفوا رؤية الله تعالى يوم القيامة .

وتـكاد تجمع على هذه الآراء كل فرق المعتزلة[2] .

أ – نفي صفات الباري :

وقد سمي المعتزلة لنفيهم صفات الله بالمعطلة ، وقـــد غلا بعضهم في ذلك غلواً كبيراً ، وكان من أعظمهم (فرية في تدقيق القول بنفي الصفات)[3] معمر بن عباد السلمي .

وكان هدفهم من نفي صفات الباري هو تركـــيز مفهوم الوحدانية اذ هم يرون أن من أثبت لله صفة أزلية قديمـــة فقد

---

(١) فضل الاعتزال ١٤٠ – ١٤١ .
(٢) الفرق بين الفرق ١١٤ .
(٣) ملل الشهرستاني ١/٦٥ – ٦٦ .

أثبت إلاهين [١] ، كما اعتقدوا أن صفاته لو شاركته في القدم لشاركته في الألوهية [٢] وقالوا : أن (ما قامت به الصفات فهو جسم ، لأن الصفات أعراض ، والعرض لا يقوم إلا بجسم) [٣] .

لذلك فإنهم جعلوا صفاته هي عين ذاته وقالوا : علم الله هو الله وقدرته هي هو [٤] .. وهو عين ما قاله الخوارج وكثير من المرجئة وبعض الزيدية [٥] .

فهذا أبو الهذيل يذهب إلى أن الله عالم بعلم هو هو وقادر بقدرة هي هُوَ وحي بحياة هي هو ... ويقول لله وجه هو هو ، فوجهه هو هو ، ونفسه هي هو [٦] .

والمعتزلة تفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال ، ويقولون بأن صفات الذات لا يجوز أن يوصف الباري بأضدادها ولا بالقدرة على أضدادها :

---

(١) ملل الشهرستاني ٤٦/١ – فجر الإسلام ٢٩٧ .
(٢) ملل الشهرستاني ٤٤/١ .
(٣) منهاج السنة ١٦٩/٢ .
(٤) الفرق بين الفرق ١٢٧ .
(٥) مقالات الإسلاميين ٢٤٤/١ .
(٦) مقالات الإسلاميين ٢٤٥/١ – الملل ٤٩/١ – ٥٠ .

من ذلك صفة العلم ، فالله عالم ولا يجوز أن يوصف بالجهل ولا بالقدرة على أن يجهل .

بينما صفات الأفعـــال كالإرادة والحب والبغض والرضا والسخط والأمر والنهي ، فيجـوز أن يوصف الباري سبحانه بأضدادها وبالقدرة على السخط وهكذا [1] .

بل ولم يتورع أحد زعمائهم وهو أبو علي الجبائي عن القول بجواز اشتقاق أسماء لله من أفعاله، مما جعل أبا الحسن الأشعري يلزمه أن يسمي الله بمحبل النساء لأنه خالق الحبل فيهن، والتزم الجبائي ذلك فقال له الأشعري :

(بدعتك هـذه أشنع من ضلالة النصارى في تسمية الله أباً لعيسى مع امتناعهم من القول بأنه محبل مريم)[2] .

وهكذا نرى أن المعتزلة انغمسوا في جدل عقيم حول ذات الله وصفاته ، وقد نهى الرسول ﷺ أمته عن مثل هذا الجدل فقال : (ما ضل قوم بعد هدى إلا لقنوا الجدل) [3] ذلك أن الجدل في الاعتقاديات كثيراً ما يؤول بصاحبه إلى الانسلاخ عن

---

(١) مقالات الإسلاميين ٢/١٩٥ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٨٣ - ١٨٤ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٩ .

الدين وهو ما وقع فعلاً للكثير من المعتزلة [1] حتى أن بعضهم وصف الله بالعجز وجعل قدرته متناهية [2] .

وكان المعتزلة يقفـــون موقف التأويل ازاء كل الآيات والأخبار التي تتعارض ومذهبهم في نفي الصفـــات بل فهم لا يتورعون عن رد بعض الآثار :

فردوا مثلا قول الرسول ﷺ لرجل ضرب آخر على وجهه (لا تفعل ، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته [3] فقــد قال عنه القاضي عبد الجبار ، فمثل هذه الأخبار لا يجوز التصديق بها إذا كانت مخالفة للأدلة القاطعة) [4] .

وتأوّلوا ما ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز من اليد بأنها النّعمة ، كما تأولوا قوله تعـــالى (ولتصنع على عيني [5] أي بعلمي[6] وزعموا أن المراد بقوله تعالى (ذو القوة) [7] الشديد

---

(١) أنظر مناظرة بشر بن المعتور في قوله عز وجل ما يكون من نجوى ثلاثة الا وهو رابعهم (سورة المجادلة ٧) جامع بيان العلم٢/١١٩– ١٢٠ .

(٢) انظر مقالة علي الاسواري – الفرق بين الفرق ١٥١ .

(٣) الحديث خرجه البخاري انظر فتح البارى ١٣ / ٢٣٨ – مسلم ٤ / ٢٠١٧ ، ٤/٢١٨٣ والإمام أحمد في مسنده .

(٤) فضل الاعتزال ١٥١ .

(٥) سورة طه ٣٩ .

(٦) مقالات الإسلاميين ١/٢٤٥ .

(٧) الذاريات ٥٨ .

القوة [١] .

ويؤكد علماء الفرق والعقيدة أن المعتزلة انما تأثروا في نفيهم لصفات الله تعالى ، بما قاله اخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا حي [٢] . حتى أن العلاف نقل مقالة أرسطوطاليس عينها في نفيه لصفات الباري تعالى[٣] .

وذكر الغزالي أن مذهب اليونان في الذات القائل بأن ذات الله واحدة لا كثرة فيها بوجه من الوجوه ، قريب من مذهب المعتزلة .

وبالاضافة الى أرسطو هناك أفلوطين الذي تأثر به المعتزلة فيما ذهب اليه من الرأي حول ذات الله ونفي صفاته القديمة[٤] .

ويقول المحقق الكبير محمد محيي الدين عبد الحميد : (وكان المعتزلة أول من استعان بالفلسفة اليونانية ، واستقوا منها في تأييد نزعاتهم ، فأقوال كثيرة من أقوال النظام وأبي الهذيل والجاحظ وغيرهم بعضها نقل بحت من أقوال فلاسفة اليونان .

---

(١) فتح الباري ١٧/١٣٠ .
(٢) مقالات الإسلاميين ٢/١٧٧ .
(٣) مقالات الإسلاميين ٢/١٧٨ .
(٤) أدب المعتزلة ١٣٥ – ١٣٦ .

وبعضهـا يستقي من نبعه ويغترف من معينه بشيء من التحوير والتعديل)[1] .

لما كان للمسيحية دور خطير في اشاعة هذه البدعــة فقد أفرزها يحيى الدمشقي الذي كانت له ولأبيه مكانة مرموقـة في البـلاط الأموي ، وقد بنى المعتزلة الكثير من أبحـاثهم على آرائها[2] .

وبدعة المعتزلة هذه لم تعدم من يشيد باشماعها وتأثيرها حتى أن آدم متز جعل لمبحثهم في ذات الله وصفاته أثراً بعيـداً في مذهب سبينوزا الذي مروه بدوره الى الفكر الأوربي[3] .

والمذهب الحق في هذا الموضوع هو ما ذهب اليه سلف الأمة الصالح من الوقوف عنـد الوصف الذي وصف الله به نفسه ، ووصفه رسوله محمد ﷺ من غير تمطيل ولا تكييف أو هو على حد تعبير ابن تيمية (اثبـات بلا تمثيل وتنزيه بـلا تمطيل[4] ذلك أن الواجب على المسلم في هذا المضمار الايمان بما ثبت عن الرسول ﷺ فيصدق خبره ويطاع أمره[5] .

---

(١) مقالات الإسلاميين مقدمة المحقق ٢٣/١ .
(٢) أدب المعتزلة ١٢٢ .
(٣) ادب المعتزلة ١٤٦ .
(٤) منهاج السنة ٨٠/٢ .
(٥) منهاج السنة ١٥٩/٢ .

فقوله تعالى ليس كمثله شيء[1] دحض لما ذهبت اليه الممثلة من تشبيهات ، وقوله وهو السميع البصير[2] رد على المعطلة[3].

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم وردت فيه آيات كثيرة محكمة الدلالة على تنزيه الله ، ووردت آياتٌ قليلة توهم التشبيه . فكان السلف يتمسكون بآيات التنزيه ويغلبونها لكثرتها ، بينما آمنوا بالآيات التي توهم التشبيه ولم يتعرضوا لمناهـا ببحث ولا تأويل ، ودعوا للايمان بها كما جاءت ، وبذلك خالفوا المجسمة المشبهة كما خالفوا المعطلة النفاة لصفات الله[4] ، أولئـك الذين تصوروا أنهم بصنيعهم هذا ينزهون الله .

ولعل من ألطف ما يصور عقم مباحثهم ما يروى عن الجنيد أنه مر بقوم من المتكلمين فسأل : من هـؤلاء فقيـل : قوم ينزهون الله بالأدلة عن صفات الحدوث وسمات النقص فقال : نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب[5] .

ب – قولهم بخلق القرآن :

ولما كان القديم الأزلي هو الله وحده ، وكانت صفـاته هي

---

(١) و (٢) الشورى ١١ .

(٣) منهاج السنة ٢/٨٠ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ٨٣١ .

(٥) مقدمة ابن خلدون ٨٣٧ - ٨٣٨ .

عين ذاته ، فانهم اتفقوا على أن القرآن مخلوق حادث في محل[1] لأنه غير ذاته تعالى .

فالقرآن – عندهم – كلام والكلام عرض يفتقر الى حركة ، وهي حادثة ، فلا يقوم الا بجسم[2] .

وهذه بدعة صرح السلف بخلافها[3] ، ولا تخفف من حدة انحرافها ما يعللها به بعضهم من أنها رد على كفر النصارى الذين جعلوا عيسى ابناً لله لأنه كلمته القديمة ، بل وذهبوا الى تأليهه .

وقد صار القول بخلق القرآن محنة قاسية فتن بهـا المسلمون ردحاً طويلاً من الزمن ، أيام استفحال أمر المعتزلة الذين لقنوا بعض الخلفاء هذا الرأي (فحمل النـــاس عليه وخالفهم أئمة السلف فاستحل لخلافهم أيسار (أموال وأجسام) كثير منهم ودماؤهم[4] حتى أن المأمون أنشأ سنة ٢١٨ هـ وهي سنة وفاته قانوناً يلزم المسلمين القول بخلق القرآن، والا جردهم من حقوقهم المدنية)[5].

---

(١) ملل الشهرستاني ١/٤٥ – الفرق بين الفرق ١١٤ – فتح الباري ١٧/٢٣١ – (وأضاف الى المعتزلة الجهمية والامامية وبعض الزيدية وبعض الخوارج) .

(٢) منهاج السنة ٢/١٦٩ .

(٣) و (٤) مقدمة ابن خلدون ٨٢٣ .

(٥) أدب المعتزلة ١٣٧ .

وهذه البدعة كسابقاتها لها أصولهـــا في التراث الوثني أو شبه الوثني من فلسفة يونانية أو أساطير فارسية أو مسيحيـة أشركت بالله ، أو يهودية تراوح الانحراف فيها بين الشرك بالله (وقالت اليهود عُزَيْزٌ ابن الله) [١] وتجسيمه [٢] وتأميمه حيث جعلوا منه إلاه بني اسرائيل بمفردهم [٣] :

فقد قرر الخطيب البغدادي في تاريخ بغـــداد أن بشر بن المرمي وهو أحد كبار المروجين لخلق القرآن ، كان أبوه يهودياً صباغاً بالكوفة . كما أن أول من نشر هذه البدعة ـ كما يقول ابن الأثير – يهودي يسمى لبيـــد بن الأعصم ، وكان يقول بخلق التوراة فأخذ عنه مقالته ابن أخته طالوت ، ونسج على منوالها للقرآن .

أما ابن قتيبة فيذهب الى أن أول من افتجر بدعـة خلق القرآن المغيرة بن سعيد العجلي ، وكان من أتباع عبد الله بن سبا اليهودي [٤] .

فلا غرابة اذاً في أن يرفض قبولهـا الفكر الاسلامي غير

---

(١) التوبة ٣٠ .

(٢) أنظر التوراة – سفر التكوين – الاصحاح الثالث – جـاء عن خطيئة آدم وحواء : (... وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار ...) .

(٣) اليهود واليهودية ٣٥ .

(٤) أدب المعتزلة ١٢١ ـ ١٢٢ .

الملوث بالثقافات والتيارات الدخيلة .

جـ – نفي الرؤية

النتيجة الثالثة لعقيدتهم في التوحيد اتفاقهم على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار[1] يقول أبو القاسم البلخي المعروف بالكعبي، في كتابه مقالات الاسلاميين (المعتزلة مجمعة على أن الله جل ذكره شيء لا كالأشياء . وأنه ليس بجسم ولا عرض ، بل هو الخالق للجسم والعرض ، وان شيئاً من الحواس لا يدركه في دنيا ولا في آخرة)[2] ، لأن العين لا ترى الا جسماً او قائماً بجسم ، ولما تنزه الله عن ذلك استحالت رؤيته بالأبصار .

ووقفوا من الأحاديث التي تثبت رؤية الله في الجنة موقف الرد في حين تأولوا الآيات التي تفيد الرؤية ، وكان تأويلهم متمحلاً متعسفاً ، كما سنبين ذلك في مواطن انحرافهم عن الحديث الصحيح .

العدل :

لئن كان الايمان بعدل الله من القواعد الأساسية عند جميع

---

(١) ملل الشهرستاني ٤٥/١ ، ٧٥ ، ٨١ – الفرق بين الفرق ١١٤ .
(٢) فضل الاعتزال ٦٣ .

المسلمين الا أن المعتزلة جعلوا منه محوراً أساسياً في تفكيرهم ، وراحوا يقيمون عليه الأدلة ويفلسفونه ويستنبطون منه بعض الآراء المنافية لعقيدة الاسلام الواضحة غير المعقدة ، حتى أنهم انزلقوا في وصف الله بما لا يليق به .

وفي بيان الدليل على عدل الله قالوا : ان العقل السليم يدل على عدل الله ونفي الظلم عنه تعالى كما أن آيات القرآن العزيز عينها تنطق بعدل الله :

(شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط)[1] – وهو العدل – و (ما ربك بظلام للعبيد)[2] وكذلك السنة الشريفة تثبت عدله تعالى : فقد صح أن الرسول ﷺ روى عن ربه : (اني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم، فلا تظالموا يا عبادي: انتم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب ولا أبالي ، فاستغفروني أغفر لكم)[3] وعن الصحابة يقول القاضي عبد الجبار: (فأما ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من القول بالعدل فظاهر)[4] .

وذهب بهم هوسهم بالعدل الى جعل الله يسوي بين

---

(١) آل عمران ١٨ .
(٢) فصلت ٤٦ .
(٣) خرج نحوه مسلم في صحيحه ٤/١٩٩٤ ، ١٩٩٥ .
(٤) فضل الاعتزال ١٤١ ، ١٤٢ .

المؤمنين والكافرين في الولاية : يقول أبو سهل بشر بن المعتمر : (ان الله تعالى ما والى مؤمناً في حال ايمانه ولا عادى كافراً في حال كفره)[1] مخالفاً بذلك عشرات الآيات التي تثبت ولاية الله للمؤمنين . يقول تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور)[2] ويقول : (والله ولي المؤمنين)[3] .

أما ابراهيم النظام فيجعل الله يعدل بين سكان الجنة جميعاً، لا يفرق بين البشر والحيوان ولا يفضل صنفاً على آخر تطبيقاً لمبدأ العدل .

والمعتزلة يعتبرون تعذيب أطفال الكافرين من الظلم الذي لا يغتفر ، مستدلين على ذلك بما رواه أنس بن مالك عن الرسول أنه سئل عن أطفال المشركين فقال : هم خدم أهل الجنة[4] .

كما أن معاملة الله لأطفال المؤمنين تتصف بالعدالة الكاملة فلا يفضل ابراهيم ابن الرسول ﷺ بأية درجة عن بقية أطفال المؤمنين[5] .

---

(١) الفرق بين الفرق ١٥٧ .

(٢) البقرة ٢٥٧ .

(٣) آل عمران ٦٨ وانظر الآيات : البقرة ١٠٧ – المائدة ٥٥ – الاعراف ١٥٥ – سبأ ٤١ وغيرها .

(٤) فضل الاعتزال ١٤٨ .

(٥) الفرق بين الفرق ١٤٥ .

وانتهى بهم غلوهم في العدل وعدم تقيدهم بفهم السلف له ونهلهم من المصادر الأجنبية الى الايمان بالأمور التالية :

أ – نفي القدر :

وليكون الله عادلاً جعلوا الانسان خالقاً لأفعاله خيرها وشرها كامل الحرية والاستقلال في اختياراته ، فهو بما ركب الله فيه من قدرة يخلق عمله ، ويختار أحد النجدين دون أن تؤثر في مقدرته عوامل خارجية ، وبذلك استحق الثواب أو العقاب في الدار الآخرة حسب ما قدم في الدنيا من خير أو شر[1] وبذلك يعارضون الجهمية الذين يقولون بالجبر .

وهذه المعاني جميعها تتساوى مع المنطق بل ومع الدين، لولا أنهم نفوا القضاء والقدر ظناً منهم أن في الايمان به جبراً او بالتالي نفياً لعدالة الإله اذ كيف يجبر العبد على فعل ثم يحاسب عليه ؟

والذي يلفت النظر هو أن بعض المعتزلة كالجاحظ وثمامة ابن الاشرس وان أثبتا أن القدر خيره وشره من العبد فانهما يجعلان كسب الانسان مقتصراً على الارادة ، أما بقية أفعاله

(١) الفرق بين الفرق ١١٤ – ١١٥ – ملل الشهرستاني ١/٤٥، ٤٧، ٦٦ ، ٨١ – فجر الإسلام ٢٩٧ .

فهي تصدر منه طباعاً[١] تماماً كما يصدر النور عن الشمس والضوء عن القمر .

والذي أدى بالمسلمين الى الجدل في هذا ، انما هو وجود آيات تثبت الجبر كقوله تعالى : (كذلك يضل من يشاء — ويهدي من يشاء)[٢] .

و (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)[٣].

و (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله)[٤] .

وآيات أخرى تثبت الحرية : وما (ربك بظلام للعبيد)[٥].

(وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)[٦].

(فما كان ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)[٧] .

(فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها)[٨].

---

(١) ملل الشهرستاني ١/٧٥ .
(٢) ابراهيم ٤ .
(٣) النحل ٣٦ .
(٤) الاعراف ١٨٨ .
(٥) فصلت ٤٦ .
(٦) النحل ١١٨ .
(٧) البقرة ٧٠ .
(٨) يونس ١٠٨ .

ولما كان المعتزلة يرون في الايمان بالقضاء والقدر خدشاً للعدالة ، مالوا الى نفيها والتملق بكل ما يثبت حرية الانسان المطلقة ، متـــأولين الآيات التي تتعارض ومذهبهم ورادين الأحاديث الصحيحة التي تجعل الايمان بالقضاء والقدر الركز الاساسي في الايمان .

جاء في حديث جبريل سؤاله للرسول ﷺ : (فأخبرني عن الايمان) فقال النبي ﷺ : (أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[1] .

وليؤيد المعتزلة مذهبهم فانهم نسبوه الى الحسن البصري ، فذكروا أنه أثر عنه قوله : من زعم أن المعاصي من الله ، جاء يوم القيامة مسوداً وجهه ثم قرأ (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة)[2] كما نسبوا اليه قوله : (كل شيء بقضاء وقدر الا المعاصي[3]) .

أصل هذا الرأي :

وحين نتفحص هذه الآراء نجدها دخيلة على روح الاسلام ، فقد تسربت الى المعتزلة من خلال تأثرهم بالفلسفات والديانات

---

(١) صحيح مسلم ١/٣٧ .
(٢) الزمر ٦٠ .
(٣) فضل الاعتزال ٨٧ .

الاجنبية ، ذلك أن الديانة الزرادشتية والمسيحية والفلسفة اليونانية بحثت هذا الموضوع[١] .

ويقال : ان أول من أظهر القول في القدر معبد الجهني وغيلان الدمشقي اللذان أخذاه عن نصراني أسلم ثم تنصر[٢] .

ويقول فون كريمر Von kremer ان المعتزلة تأثروا في رأيهم في القدر بأب كنسي مسيحي هو يحيى الدمشقي الذي عاشر المسلمين وتأثروا به كثيراً . وهو رأي لا يقلل من شأنه رد أحمد أمين له حيث جعـــل البحث في القدر مسألة أصيلة في الفكر الاسلامي بناء على ما تضمنه القرآن والسنة من آيات وآثار تدعو الى الايمان به[٣] .

ب — الصلاح والأصلح :

وايمان المعتزلة بعدل الله وتنزهه عن الظلم ساقهم الى القول بنظرية الصلاح والأصلح أي أن الله بناء على عدله لا يفعل الا ما فيه صلاح العبد وخيره .

والمثير في هــذا الموضوع هو أنهم من ناحية يثبتون للعبــد

---

(١) أدب المعتزلة ١١٩ .

(٢) فجر الاسلام ٢٨٥ .

(٣) أدب المعتزلة ١٤٢ ، ١٤٣ .

الحرية المطلقة في جميع أعماله الى درجة نفوا معها القضاء والقدر ، ومن ناحية أخرى يقيدون حرية الله ، وحق قدرته ، تحت ستار العدل ، بل ويوجبون على الله رعاية هذا الأصلح[1] ، حتى أن النظام قال : (بأن الله لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم ... ولا يقدر أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة ... ولا يقدر أن يخرج أحَداً من أهل الجنة عنها ، ولا يقدر على أن يلقي في النار من ليس من أهل النار ... كما أن الله لا يقدر على أن يعمي بصيراً أو يزمن صحيحاً أو يفقر غنياً... لأنه تعالى علم أن أصلح الأمور كونه على ما هو عليه الآن)[2].

وهذه المعاني أخذها المعتزلة عن قدماء الفلاسفة الذين (قضوا بأن الجواد لا يجوز أن يدخر شيئاً لا يفعله ، فما أبدعه وأوجده هو المقدر ، ولو كان في علمه تعالى ومقدوره ما هو أحسن وأكمل مما أبدعه نظاماً وتركيباً وصلاحاً لفعله)[3] .

والذي لا شك فيه أن القرآن يثبت لله الحرية والقدرة المطلقة والعلم الأزلي والتفرد بالحكمة ، كما أن السنة الصحيحة تدحض ما ذهب اليه المعتزلة ، فالله لا يجب عليه رعاية الأصلح بدليل الحديث الصحيح : عن عبد الله بن مسعود حدثنا رسول

---

(١) فتح الباري ٢٨٦/١٤ .
(٢) الفرق بين الفرق ١٣٣ .
(٣) الملل للشهرستاني ٥٤/١ .

الله ﷺ وهو الصادق الصدوق: (قال ... فوالله ان أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى مـا يكون بينه وبينها غير ذراع أو باع[1] فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النـار فيدخلها)[2] .

وقد استدل بهذا الحديث (على أنه لا يجب على الله رعـاية الأصلح خلافاً لمن قال به من المعتزلة لأن فيه أن بعض النـاس يقضي جميع عمره في طـاعة الله ثم يختم له بالكفر – والعيـاذ بالله – فيموت على ذلك فيدخل النـــار ، فلو كان يجب عليه رعاية الأصلح لم يحبط جميع عمله الصالح بكلمة الكفر التي مات عليها ، ولا سيا ان طال عمره وقرب موته من الكفر)[3] .

ج – الحسن والقبح العقليان :

وليكون عدل الله كاملاً غير منقوص وجزاء العبد وفاقـاً لسعيه في الحياة الدنيـا يجب – في نظر المعتزلة – أن تكون للعقل صلاحية ادراك حسن الأفعال والأشياء وقبحهـــا[4] ،

---

(١) الباع : هو مسافة ما بين الكفين اذا بسطتها يمناً وشمالاً (المصباح المنير) ٧٣/١ .

(٢) صحيح البخاري – كتاب القدر الحديث الأول انظر فتح الباري ٢٧٧/١٤ – ٢٨٨ .

(٣) فتح الباري ٢٩١/١٤ .

(٤) ملل الشهرستاني ٧١/١ ، ٥٨/١ .

حق وان لم يرد بها الشرع[1]، فالقبح والحسن ذاتيان في الأشياء بمعنى موضوعيـان بلغة العصر – والعقل بمـا ركب الله فيه من قدرة على التمييز يستطيع بمفرده الوصول الى الحق فيها .

بل ينبغي أن يكون العقل هو الفيصل في مجـال التحسين والتقبيح لأن معرفة الحسن والقبح واجبات عقليـة[2] ، وعلى الانسان وجوب السعي لفعل الحسن: كالصدق والعدل والاعراض عن القبيح كالكذب والجور[3] .

وهذا يعكس اكبـارهم الشديد للعقل واعتدادهم بقدرته مما وقع بهم في مزالق تعطيل الشريعة اذ بدل أن يسلطوها على العقل جعلوا العقل حكماً عليها .

وقد بلغ بهم هذا الاعتداد الى القول ان على العاقل تحصيل معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال[4] وان قصر في المعرفة استوجب العقوبة أبـداً[5] . واعظام العقل لا يتنـافى مع الاسلام اطلاقـاً الا أن جعله فوق مستوى كل شبهة هو الذي يدحضه واقع الحياة البشرية .

---

(١) فجر الإسلام ٢٩٨ .
(٢) ملل الشهرستاني ١/٤٥ ، ٨١ .
(٣) ملل الشهرستاني ١/٥٢ .
(٤) ملل الشهرستاني ١/٥٨ .
(٥) ملل الشهرستاني ١/٥٨ .

الوعد والوعيد :

ايمان المعتزلة بهذا الأصل متساوق مع فهمهم للعدل ، هذا العدل الذي جعلوه يقضي على الفاسق بالمنزلة بين المنزلتين في الدنيا والتخليد في النار يوم القيامة وجعلوه يحد من قدرة الله عز وجل كما رأينا في ايمانهم بالصلاح والأصلح .

وايمانهم بعدل الله جعلهم يقطعون أيضاً بالوعد والوعيد ذلك أن (المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها خلد في النار وكان عذابه أخف من عذاب الكفار)[١] . فالله موف بوعده منجز لوعيده حتماً لأنه صادق ولا مبدل لكلماته ، فهو لا يغفر الذنوب الا بعد التوبة[٢] .

وبلغ ببعضهم الافراط في الايمان بهذا المبدأ الى القول : ان الله لا يقبل توبة المقلع عن الذنب بعد العجز عن اقترافه ، فهذا أبو هاشم بن أبي علي الجبائي يقول : لا تصح توبة من خرس لسانه عن الكذب ولا توبة من جب ذكره عن الزنى[٣].

بل وذهب بهم تشبثهم بالوعيد الى نكران الشفاعة التي

---

(١) المعتزلة ٥١ .
(٢) المعتزلة ٥١ - ٥٢ .
(٣) الفرق بين الفرق ١٩١ .

تضافرت آيات القرآن العزيز والسنة النبوية الشريفــــة على تقريرها، ولا دليل لهم على ذلك الا أنها تتعارض مع ما أحدثوه من الوعيد . ممـــا جعلهم يؤولون الآيات التي تثبت الشفاعة ويتمسكون بالآيات التي ينفي ظاهرها الشفاعة أما الآثار التي تثبتها فأعرضوا عنها كلية .

وقد لجأ القاضي عبد الجبار الى التأويل لما عورض مبدأهم هذا بقوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[1] ، فقال يحمل قوله تعالى ما دون ذلك على صغائر المعاصي[2] .

وأدرك عمرو بن عبيد أن الله محاسبه على قوله بالوعــــد والوعيد ، فتخيل موقفه يوم القيامة ودفاعه عن رأيه ، فقال : (فأقام بين يدي الله فيقول لي: أنت قلت : ان القاتل في النار؟ فأقول : أنت قلته ثم أتلو : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) [3] فقال قريش بن أنس لعمرو بن عبيد : ان الله تعالى يقول : ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلــك لمن يشاء ، فاذا قال لك: من أين علمت أني لا أشاء أن أغفر لهذا؟

---

(١) سورة النساء ٤٨ .

(٢) فضل الاعتزال ١٥٤ .

(٣) سورة النساء ٩٢ .

فأفحم عمرو بن عبيد)[1] .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صميم عقيدة الاسلام، فالقرآن يدعو أمة محمد ﷺ أن تتبنى هذا المبـــدأ وتعمل به فقال : ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون [2] .

ولعل الإشكال هنا يتمثل في مـــا المراد بالمعروف وما هو المنكر ؟

والمعروف عند المعتزلة هو ما أجمعوا عليه والمنكر هو مـــا يراه مخالفوهم ، (وقـــد أجمعت المعتزلة الا الأصم على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الامكان والقدرة : باللسان واليد والسيف ، كيف قدروا على ذلك) [3] .

يقول القاضي عبد الجبـــار : أن الواجب علينا النصيحة في الدين بأن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر على شرط الطاقة [4]. وقـــد استخدم المعتزلة كل سلطانهم لفرض آرائهم حول خلق

---

(١) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٤ .

(٣) مقالات الإسلاميين ١/٣٣٧ .

(٤) فضل الاعتزال ١٣٩ .

القرآن ، حتى أنهم أقاموا المحاكم لمحاكمة المناوئين لهم ومصادرة حرياتهم وحقوقهم كلهـــا ايمانا منهم أنهم يخدمون الحقيقة وينصرونها .

كما استخدم المعتزلة سلطانهم الأدبي لمقاومة المجون والفساد : فقد نهى واصل بشار بن برد عن مجونه وغوايته فـــلم يرعو ، فتهدده بالقتل ، ولكنه أنف من اغتياله وآثَرَ نفيه الى حران ، فلم يعد الى البصرة إلا بعد وفاة واصل .

وقاوم عمرو بن عبيد عبد الكريم بن أبي العوجاء ، واتهمه بالزندقة والالحاد ، وافساد الشباب ، وهدده بالقتل ان لم يغادر مصرهم [1] .

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة لم يفسده الا تعسفهم في فهمه وتطبيقه .

---

(١) المعتزلة ٥٢ ــ ٥٣ .

مَوقِفُ المعْـتزلة مِنَ السُّنّة

لقد آمن المعتزلة بأصولهم الخمسة الآنفة الذكر وما تفرع عنها من آراء وجعلوا منها القاعـــدة والأساس الذي تنطلق منه كل محاوراتهم ومعاملاتهم مع النصوص سواء كانت قرآناً أو سنة ، فكان ما يعارض مبادئهم (من آيات يؤوّلونها وما يعارضها من أحاديث، ينكرونها ... ولذلك فان موقفهم من الحديث كثيراً ما يكون موقف المتشكك في صحته ، وأحياناً موقف المنكر له لأنهم يحكمون العقل في الحديث لا الحديث في العقل)[1].

واعمـــال العقل كما سبق أن ذكرنا لا يتنافى اطلاقـــاً مع الشريعة ، بل فقد دعا الاسلام الى اعمال الرأي في أكثر من آية وأكثر من حديث ، وقد استخدم علماء الجرح والتعديل من علماء الحديث العقل كذلك لتمحيص الأخبار ونقد الرواة ، إلا أن العقــل ينبغي أن يحسن استعماله في مواضعه المنصوص عليها في

---

(١) ضحى الاسلام ٣/٨٥ .

الشريعة بعيداً عن كل زندقة وتعنت وإلحاد ، هـذه المعاني التي تفسد العقل كأداة تقويم قيمة لنصوص الحديث وغيرها وتحوله عن وجهته الصحيحة .

ولعله من المفيد أن نمهد الحديث عن موقفهم من السنة بكلمة عن **مكانة وأهمية العقل عند المعتزلة** :

لقد أجمع السلف على أن العقل والاجتهاد عموماً يحتل المرتبة الثالثة بعد القرآن ثم السنة ، إلا أن المعتزلة خالفوا هذا الاجماع ونصبوا العقـل على رأس الأدلة إذ به – كما يقولون – يدركون القرآن نفسه وغيره من الأدلة .

فهذا القاضي عبد الجبار في معرض حديثه عن الأدلة الشرعية يقول في تصنيفها ما يأتي : (أولها العقل لأن به يميز بين الحسن والقبح ، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة ، وكذلك السنة والاجماع) . ولا شك أنه مدرك مخالفته وصحبه لاجماع الأمة فقال : (وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم فيظن أن الأدلة هي الكتاب والسنة والاجماع فقط ، أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر ، وليس الأمر كذلك لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل)[1] .

ويواصل تمجيد العقل فيبين أنه انما يتوصل الناس الى معرفة

---

(١) فضل الاعتزال ١٣٩ .

الله وادراك حكمته بالعقل ... وهكذا فهم أول من حكم العقل في النص لدرجة سمح معها ابراهيم النظام لنفسه أن يقول : وان جهة حجة العقل قـــد تنسخ الأخبار [١] كما أن عمرو بن عبيد ذكر له ذات يوم حديث الرسول ﷺ فقـــال : (لو سمعت الأعمش يقول هـــذا لكذبته ولو سمعت رسول الله ﷺ يقـــول هذا لرددته ، ولو سمعت الله يقول هـــذا لقلت : ليس على هذا أخذت ميثاقنا) [٢] .

وبذلك أهملوا قدسية النص الصحيح قرآناً وسنة خلية عن الهوى ، وأقاموا العقل حكماً لا ترد كلمته ، وحملوه بالاضافة الى مهمة التحسين والتقبيح – التي بيناها قريباً – مسؤولية (معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع) [٣] حتى أن الجاحظ يقرر أنه لا يجوز للعبد أن يبلغ ولا يعرف الله [٤] ذلك أن أصول المعرفة عندهم واجبة وضرورية ويمكن ادراكها بالعقل قبل ورود السمع [٥] .

ويضيف ثمامة بن أشرس الى هـــذا أن من لم يضطر اليها فهو

---

(١) تأويل مختلف الحديث ٤٣ .
(٢) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٨ .
(٣) ملل الشهرستاني ١/٧٠
(٣) فضل الاعتزال ٧٣ .
(٥) ملل الشهرستاني ١/٤٥ .

سخرة للعباد وغيره كسائر الحيوانات غير المكلفة [1] .

بل وذهب ثمامة وتلميذه الجاحظ الى القول إنّ المعارف كلها طباع رغم كونها أفعالاً للعبـــاد ، فهي تصدر عنهم دون أن يكون لهم فيها أثر ولا اختيار اذ لا يملكون إلا الإرادة [2] مما جعل البغدادي يلزمها أن أفعـــال العباد من أوامر وَنَوَاهٍ لا توجب ثواباً ولا عقاباً لأنها طباع ليست كسباً [3] ورغم هــذا فقد جلب مسلكهم الممالىء للعقـــل على حساب القرآن والسنة عطف الكثير من نقاد الغرب فكالوا لهم شهادات الاستحسان والاكبار وقد تعود الكثير من نقاد الغرب المسيحيين الإشادة بكل ما صار في ذمة التاريخ عند المسلمين حتى يشعروا الأجيال الحاضرة أن لا شيء مما يتمسكون به يدعو الى الإكبار وبالتالي الى الاعتزاز :

فهذا شتينر Stainer أطلـــق عليهم اسم : « المفكرون الأحرار في الاسلام » وجعل من هذا اللقب عنوان كتابه عنهم .

ووصفهم آدم ميز Adam Mez وهاملتون Hamilton بأنهـــم دعاة الحرية الفكرية والاستنارة .

---

(١) فضل الاعتزال ٧٣ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٧٥ ، فضل الاعتزال ٧٣ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٧٦ .

أما ڤولدزيهر فيرفـــع عقيرته بالثناء عليهم ويصفهم بأنهم (وسعوا معين المعرفة الدينية بأن أدخلوا فيها عنصراً مهماً آخر قيماً وهو العقل الذي كان حتى ذلك الحين مبعداً بشدة عن هذه الناحية)[١].

هكذا يتجاسر فولد زيهر على قلب الحقائق مسقطا الواقع الذي يثبت اجتهاد الرسول ﷺ والصحابة والتابعـــين ... وكتب السنة والسيرة والتاريخ والفقه والخـــلاف والمقارنات الفقهية حافلة بما يؤيد اجتهادهم وتعويلهم على العقل الذي لم يبق في اجازة في انتظار المعتزلة ليكتسب فعاليته .

وقبل أن أختم هـــذا التمهيد الموجز أريد أن أشير الى ملاحظة مهمة وهي أن المعتزلة رغم ارتمائهم في أحضان العقل بدون تروّ ورغم مجافاتهم للكثير من نصوص الحديث وتعسفهم في تـأويل العديد من آي الذكر الحكيم فانهم لا يرتاحون حين يتهمهم خصومهم بأن كتبهم ومباحثهم خالية من سنن الرسول ﷺ ، اذ هم يدعون لأنفسهم التمسك بالسنة وبالجماعة ، وكثيراً ما ينقلبون على منـــاوئيهم باللائمة فيتهمونهم بأنهم لا يعرفون حقيقة السنة[٢] .

---

(١) أدب المعتزلة ١٧٢ .

(٢) فضل الاعتزال ١٨٥ .

وسوف نتتبع حقيقة موقفهم من السنة بدراسة آرائهم ازاء الموضوعات التالية :

أ – موقفهم من الصحابة حملة العلم النبوي .

ب – ومن الاخبار المتواترة .

جـ – ومن أخبار الآحاد .

د – ومن عدد جم من الأحاديث النبوية .

أ – رأيهم في الصحابة :

كان موقف المعتزلة من الصحابة خالياً من كل روح ديني ، فهم يعرضونهم على مشرحة انتقادهم ولا أقول نقدهم دون أن يتورعوا عن إلصاق كل تهمة بهم ، وهي تهم متحملة متعسفة تثبت لأصحابها سوء الطوية أكثر مما تثبته من حب البحث عن الحقيقة .

ومما يلفت الانتباه أن بعض المعتزلة يعيب على الصحابة الاجتهاد اجتهاد الرأي هذا الذي جعل منه المعتزلة عنواناً لهم، والذي قدموه على القرآن نفسه كما أسلفنا، حين يطبقه الصحابة يصبح عند المعتزلة من العيوب التي لا تغتفر والتي يؤخذ بها وعليها أصحابها .

فهذا النظام يقول : (ان الذين حكموا بالرأي من الصحابة

اما أن يكونوا قد ظنوا أن ذلك جائز لهم وجهلوا تحريم الحكم بالرأي في الفتيا عليهم ، واما أنهم أرادوا أن يذكروا بالخلاف وأن يكونوا رؤساء في المذاهب ، فاختاروا لذلك القول بالرأي[1] وبذلك نسبهم كما يقول البغدادي (الى ايثار الهوى على الدين[2]) . بل فان النظام ضرب المثل السيء في الوقيعة الفاحشة في الصحابة أجمعين[3] ولم يتورع عن ايجاب الخلود في النار على أعلام الصحابة .

وحين يفاضل العلماء بين الخلفاء الراشدين حسب اجماع الأمة على مبايعتهم على الخلافة أولاً بأول ، نجد أبا علي الجبائي لا يبت في أيهم أفضل[4] ؟ امعاناً في مخالفة اجماع الأمة .

ولإثارة الشبه وتعميق الحزازات يميعون القول في حقيقة مقتل عثمان ، فهذا أبو الهذيل يقول : (لا ندري قتل عثمان ظالماً أو مظلوماً ؟)[5] ، وقبله يعلن واصل بن عطاء أنه لا يعرف ، هل كان عثمان هو المخطىء أم قاتلوه وخاذلوه ؟[6] .

---

(١) الفرق بين الفرق ١٤٨–١٤٩ .
(٢) ملل الشهرستاني ١/٥٨ .
(٣) الفرق بين الفرق ٣١٩ .
(٤) مقالات الاسلاميين ٢/١٤٧ .
(٥) مقالات الاسلاميين ٢/١٤٣ .
(٦) الفرق بين الفرق ١٤٧ .

حتى اذا ما وصل الأمر الى النظر في أصحاب الجمل وصفين نجدهم ينسبون الصحابة الى الفسق جلت أقـدارهم وعلت عن ذلك علواً كبيراً ، فهذا واصل بن عطاء يجعـل أحد الفريقين المتخاصمين في الجمل وفي صفين مخطئاً لا يعينه تمامـاً كالمتلاعنين فان أحدهما فاسق لا محالة .. (وأقل درجات الفريقين أنه لا تقبل شهادتها كما لا تقبل شهادة المتلاعنين)[١] .

وبناء على هذا فانه لم يحكم بشهادة رجلين أحدهمامن أصحاب علي والآخر من أصحاب الجمل ، فهو يقول: (لو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم[٢] . وقبل شهادة رجلين من أصحاب علي وشهادة رجلين من أصحـــاب طلحة والزبير[٣] اذ قد يكون أحد الفريقين عدلاً وعلى صواب، وهو رأي تبناه بعد ذلك ضرار بن عمرو وأبو الهذيل ومعمر ابن عبّاد السلمي حيث قالوا جميعاً : (نحن نتولى كل واحد من الفريقين على انفراد[٤]) .

وهكذا يكونون قد شكوا في عدالة علي وطلحة والزبير

---

(١) ملل الشهرستاني ٤٩/١ .

(٢) ميزان الاعتدال ٣٢٩/٤ – الفرق بين الفـــرق ١٢٠ – ملل الشهرستاني ٤٩/١ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٢٠ ، ٣٢٠ .

(٤) مقالات الاسلاميين ١٤٥/٢ .

مع شهادة النبي ﷺ لهؤلاء الثلاثة بالجنة ومع دخولهم في بيعة الرضوان وفي جملة الذين قال الله تعالى فيهم : لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم : فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً[1] .

وتقدم عمرو بن عبيد خطوة أخرى في تفسيق أصحاب الجمل ، فقطع بفسق الطرفين المتحاربين جميعاً ، وقال : (لا أقبل شهادة الجماعة منهم سواء كانوا من أحد الفريقين أو كان بعضهم من حزب علي وبعضهم من حزب الجمل)[2] وبلغ به الأمر في امتهانهم الى القول: لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان على شراك[3] نعل ما أجزت شهادتهم[4] وهذا منه متساوق مع ما جبل عليه من كراهتهم وشتمهم[5] .

أما ابراهيم النظام وبشر بن المعتمر وبعض المعتزلة ، فانهم صوبوا علياً في حروبه وخَطَّؤوا من قاتله ، فنسبوا طلحة والزبير وعائشة ومعاوية الى الخطأ[6] وانتفاء العدالة عنهم .

---

(١) سورة الفتح ١٨ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٢١، ٣٢٠ .

(٣) شراك ج شرك : كَكِتَاب سَيْر النعل ويُجْمَعُ أيضاً على اشرك، ونقول شركت النعل انقطع شراكها (القاموس المحيط ٣٨/٣، ٣١٩) .

(٤) ميزان الاعتدال ٢٧٥/٣ .

(٥) ميزان الاعتدال ٢٧٤/٣ .

(٦) مقالات الاسلاميين ١٤٥/٢ .

وقولهم هذا لا شك باطل مرذول ومردود ، فقد قال الله تعالى : وان طائفتــان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما [1] فسماهم مؤمنين مع الاقتتال [2] .

وعديدون هم الصحابة الذين ألهبتهم ألسنة المعتزلة وأقلامهم بالقدح والتجريح فهذا ابو بكر الصديق ثاني اثنين اذ همــا في الغار ، وأول من أسلم من الرجال ، وصديق الرسول وحبيبه ينال منه النظام فيتهمه بالتضارب في أقواله ، وذلك حين امتنع عن القول في شيء من متشابه القرآن الذي لا يعلم تأويله الا الله فقال لما سئل عنه : (أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني ... اذا أنا قلت في آية من كتاب الله تعالى بغير ما أراد الله)[3] ثم سئل عن الكلالة فقال : (أقول فيهــا برأيي ، فان كان صواباً فمن الله وان كان خطأً فمني هي ما دون الولد والوالد)[4] .

وكان عمر هدفاً لتهجمات النظام وطعنــاته فقد زعم أنه شك يوم الحديبية في دينه وذلك لما سأل الرسول : ألسنا على

---

(١) سورة الحجرات ٩ .

(٢) الباعث الحثيث ١٨٢ .

(٣) تأويل مختلف الحديث ٢٠، ٢٤ – جوابه عن الكلالة : أنظر فضل الاعتزال ١٤٧ ، ضحى الاسلام ٣/٨٨ – ٨٩ .

(٤) الفرق بين الفرق ١٤٧ – ملل الشهرستاني ١/٥٧ .

الحق ؟ أليسوا على الباطل ؟ فقال الرسول ﷺ : نعم . قال عمر : فلم نعط الدنية في ديننا ؟ فغيرة عمر على الدين ورغبته المخلصة في نصرته اعتبرها النظام تردداً وشكاً !!

وآمن النظام بفرية الشيعة في الوصية بالخلافة لعلي وهي البدعة التي اختلقها عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أسلم ليكون رأس الفتنة ، واتهم النظام عمر بأنه كتمها وبادر بمبايعة أبي بكر ليحرم آل البيت ، بل فان عمر كما يزعم النظام (ضرب يوم البيعة بطن فاطمة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها ، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين) .

بل فحتى نفي عمر لشاعر المدينة الوسيم نصر بن حجاج[1] الى البصرة مخافة فتنة النساء اعتبره النظام من مطاعن عمر ، كما أخذ عليه جلده في الخمر ثمانين جلدة[2] وأعد احياءه لسنة

---

(١) شاعر من أهل المدينة كان جميلا ، قالت احدى نساء المدينة :

يا ليت شعري عن نفسي أزاهقة　　مني ، ولم أقض ما فيها من الحاج

هل من سبيل الى خمر فأشربها　　أم من سبيل الى نصر بن حجاج

وسمع البيتين أمير المؤمنين عمر فقال : (لا ادري رجلا في المدينة تهتف له العواتق في خدورهن وطَلَبَهُ فجاء : فأمر به فحلق شعر رأسه ، ثم نفاه الى البصرة) الاعلام ٣٣٩/٨ .

(٢) الفرق بين الفرق ٣١٩ .

التراويح بدعة تذكر له بالذم[١] .

ثم اتهمه بما اتهم به أبا بكر رضي الله عنه من التناقض في أقواله ، حيث نسب اليه قوله (أجرؤكم على الفتيا في ميراث الجد اجرؤكم على النار) ثم قضى في الجد بمائة قضية مختلفة[٢].

وأحكام النظام كلها تصور قلة غيرته على الاسلام ، وميله الى الابتداع ، وهدم ما يَتَمَيَّزُ به أعلام الاسلام من هيبة في نفوس المسلمين لكي يزرع فيهم خيبة الأمل ويخلخل في نفوسهم كثيراً من القيم التي يمثلها صحابة الرسول ﷺ .

ولم يسلم عبد الله بن مسعود (ت٣٢ هـ) من طعن النظام فقد عاب عليه إعْمَاله الرأي في الفتيا[٣] وتجرأ على نسبته الى الكذب ورد عدداً كبيراً من أحاديثه كحديث السعيد من سعد في بطن أمه ، وحديث انشقاق القمر[٤] وغيرهما ...

فقد قال عن حديث انشقاق القمر : وهـذا من الكذب

---

(١) الفرق بين الفرق ٣١٩ – ملل الشهرستاني ١/٥٧ .
(٢) تأويل مختلف الحديث ٢٠ .
(٣) تأويل مختلف الحديث ٢١ – الفرق بين الفرق ١٤٨ – ملل الشهرستاني ١/٥٧ .
(٤) الفرق بين الفرق ١٤٨ – الملل ١ / ٥٨ – ضحى الإسلام ٣/ ٨٦ – ٨٧ .

الذي لا خفاء به ، لأن الله تعالى لا يشق القمر له وحده ، ولا لآخر معه وانما يشقه ليكون آية للعالمين ... فكيف لم يعرف بذلك العامة ، ولْم يؤرخ الناس بذلك العام ، ولم يذكره شاعر، ولم يسلم عنده كافر ولم يحتج به مسلم على ملحد[1] ؟ !

وقال عن الحديث الأول : (ولو كان ابن مسعود بدل نظره في الفتيا ، نظر في الشقي كيف يشقى والسعيد كيف يسعد ، حتى لا يفحش قوله على الله تعالى ، ولا يشتد غلطه لكان أولى به ...[2]) .

وللنظام في ثلب أمير المؤمنين عثمان بن عفان الباع الطويل، فقد عاب عليه :

أ - ايواءه الحكم بن أمية الى المدينة وهو طريد رسول الله ﷺ .

ب - ونفيه أبا ذر الغفاري الى الربذة وهو صديق رسول الله ﷺ .

ج - واستعماله الوليد بن عقبة على الكوفة وهو من أفسد الناس حتى أنه صلى بالناس وهو سكران .

د - أعان سعيد بن العاص بأربعين ألف درهم على نكاح عقده .

---

(١) - (٢) تأويل مختلف الحديث ٢١ .

هـ - تزويجه ابنته مروان بن الحكم[١] .

ونال النظام أيضاً من حذيفة بن اليمان (ت ٣٦ هـ) أمين سر الرسول ﷺ في المنافقين الذين لم يعلمهم أحد غيره[٢] فشتمه واتهمه بالكذب وزعم أنه حلف لعثمان على أشياء ما قالها وقد سمعوه قالها !!؟)[٣] .

وحين أفتى علي برأيه قال عنه النظام : (من هو حتى يقضي برأيه[٤] !؟) .

ولم يتورع عن الطعن في أبي هريرة والقول عنه (كان أكذب الناس[٥] . وادعى أن عمر وعثمان وعلياً وعائشة رضي

---

(١) الفرق بين الفرق ١٤٨ - الملل ٥٧/١ - ومروان بن الحكم هو الخليفة الاموي الرابع ووالد عبد الملك بن مروان ، كان مروان قد قاتل علياً مع طلحة والزبير في معركة الجمل ، وشهد صفين مع معاوية ، وقد شارك في العديد من الفتن التي نشأت في المدينة الاعلام ٩٤/٨ .

(٢) كان حذيفة من الولاة الشجعان الفاتحين ، وكان عمر يجله وكان موضع ثقته حتى أنه اذا مات ميت يسأل عن حذيفة فان حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر والا لم يصل عليه (الاعلام ١٨٠/٢) .

(٣) تأويل مختلف الحديث ٢٢ .

(٤) الفرق بين الفرق ١٤٨ ، ٣١٩ .

(٥) الفرق بين الفرق ١٤٧ .

الله عنهم أكذبوه[1] .

وقد خطأ بعض المعتزلة معـــاوية (ت ٦٠ هـ) ولم يقولوا بامامته[2] ، وكان عرضة لتهجم القاضي عبد الجبار حيث وسم أعماله بالباطل[3]

ولم يسلم سمرة بن جندب (ت ٦٠ هـ) من شتم عمرو بن عبيد، فقد سأله أحدهم عن حديث لسمرة فقال له: (ما تصنع بسمرة؟ قبح الله سمرة)[4] !!

وموقف المعتزلة من صحابة رسول الله ﷺ عموماً يتراوح بين شاك في عدالتهم منذ عهد الفتنة ، كما فعل واصــــل وبين مفسق لهم جميعاً كعمرو بن عبيد وبين (طــــاعن في أعلامهم متهم لهم بالكذب والجهـــل والنفاق كالنظام ، وذلك يوجب ردهم للأحاديث التي جاءت عن طريق هؤلاء الصحابة بناء على رأي واصل وعمرو ومن تبعهما)[5] .

وما ذهب اليه المعتزلة كما يقول ابن كثير : (باطل مرذول

---

(١) تأويل مختلف الحديث ٢٢ .

(٢) مقالات الاسلاميين ٢/١٤٥ .

(٣) فضل الاعتزال ١٤٣ .

(٤) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٤ .

(٥) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ٢٠٨ .

ومردود)[١] ، وهو مخالف للسنة مخالفة صريحة ذلك أن من الذين كفروهم شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة كـأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحـة والزبير[٢] . كما كان العديد من الصحـابة الذين نسبوهم الى الكذب والضلال ضمن أهل بيعة الرضوان الذين أشاد الله بذكرهم[٣] .

← المعتزلة لا يعترفون بثبوت هذه الشهادات

وبما يؤيد منافاة طعنهم على الصحابة للسنة الصحيحة مـا جاء في صحيح البخـاري عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قـال : (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[٤] ويشرح ابن حجر معنى القرن فيقول : (والمراد بقرن النبي في هذا الحديث الصحابة)[٥] .

وقال الرسول ﷺ : (لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)[٦] .

---

(١) الباعث الحثيث ١٨٢ .
(٢) الباعث الحثيث ١٨٤ هامش رقم ١ .
(٣) أنظر آية ١٨ من سورة الفتح .
(٤) صحيح البخاري باب فضائل أصحاب النبي ، انظر الفتح ٨ / ٥ ، ٨ الكفاية ٩٤ .
(٥) فتح الباري ٨/٦ .
(٦) معنى الحديث : لا ينال أحدكم بانفاق مثل احـد ذهباً من الفضل والاجر ما ينال احدهم بانفاق مد طعام أو نصيفه. والحديث خرجه البخاري في جامعه كتـاب فضائل الصحابة ، انظر فتح الباري ٨/٣٣ وفي مسلم ٤/ ١٩٦٧ – سنن أبي داود ٢/٥١٨ – التقييد والايضاح ٣٠١ .

يقول الامـام الغزالي : فأي تعديل أصح من تعديل علام الغيوب سبحـانه وتعديل رسول الله ﷺ ، كيف ولو لم يرد الثناء ، لكان فيما اشتهر وتواتر عن حالهم في الهجرة والجهـاد وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأهل في موالاة رسول الله ﷺ ونصرته كفاية في القطع بعد التهم[١] .

وقد أجمع سلف الأمة وجماهير الخلف على عدالة الصحابـة بما فيهم من لابس الفتن[٢] ، وصار استنقـاصهم آية من آيات الزندقة والمروق عن الاسلام يقول ، أبو زرعـة : (اذا رأيت الرجل يتنقص أحداً من أصحـاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق[٣]) . ذلك أن طعنهم وتنقصهم لا يعدو كونه هذياناً بلا دليل الا مجرد (رأي فاسد عن ذهن بارد ، وهوى متبـع ، وهو أقل من أن يرد والبرهان على خلافه أظهر وأشهر : مما علم من امتثالهم أوامره بعده عليه الصلاة والسلام ، وفتحهـم الأقاليم والآفاق ، وتبليغهم عنه الكتاب والسنة ، وهدايتهم الناس الى طريق الجنـة ومواظبتهم على الصلوات والزكوات وأنواع القربات في سائر الأحيـان والأوقـات مع الشجاعة والبراعة والكرم والايثار والاخلاق الجميلة التي لم تكن في أمة

---

(١) المستصفى ١٦٤/١ .

(٢) التقييد والايضاح ٣٠١ .

(٣) الكفاية ٩٧ .

من الأمم المتقدمة ولا يكون أحد بعدهم مثلهم في ذلك ، فرضي الله عنهم أجمعين)[1] .

ب – انكارهم للحديث المتواتر

يعتبر حديث رسول الله ﷺ الأصل الثاني للتشريع الاسلامي باجماع علماء الأمة الاسلامية ، وتنقسم السنة باعتبار عدد رواتها الى متواتر وآحاد .

وعرف علماء المصطلح المتواتر بقولهم (هو ما رواه جمع كثير عن جمع كثير يحيل العقل تواطؤهم على الكذب عادة أو صدوره منهم اتفاقاً ، وأن يكون مستند انتهائهم الحس ويصحب خبرهم افادة العلم بنفسه لسامعه)[2] .

وعرفه أبو عمر يوسف بن عبد البر بأنه (اجماع تنقله الكافة عن الكافة . وهو من الحجج القاطعة للأعذار اذا لم يوجد هناك خلاف ، ومن رد اجماعهم ، فقد رد نصاً من نصوص الله يجب استتابته عليه ، واراقة دمه ان لم يتب لخروجه مما أجمع عليه المسلمون ، وسلوكه غير سبيل جميعهم)[3] وان لم ينعقد الاجماع على تواتره ، بل وقع الخلاف فيه ، يكون منكره

---

(١) الباعث الحثيث ١٨٢ – ١٨٣ .

(٢) محاضرات في علوم الحديث ٢/٧ وما بعدها .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢/٤١ – ٤٢ .

من الفاسقين[1] .

ودرج المعتزلة على مخالفة اجماع الامة على افـــادة المتواتر القطع :

وذهب النظام الى جـواز وقوع الكذب في الخبر المتواتر رغم خروج ناقليه عند سامع الخبر عن الحصر[2] بناء على مـا يعتقده من أن الحجة العقلية جديرة وقادرة على نسخ الاخبار[3] ولا يستغرب انكاره للمتواتر ما دام ينكر حجية الاجماع كما سنرى ويجوز اجتماع الأمة على الضلالة[4] .

ويرى أبو الهذيل أن (الحجة لا تقوم فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم السلام وفيما سواهـا ، الا بخبر عشرين فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر، ولا تخلو الأرض عن جماعة هم أولياء الله معصومون لا يكذبون ، ولا يرتكبون الكبائر ، فهم الحجـــة ، لا المتواتر ، اذ يجوز أن يكذب جماعة ممن لا يحصون عدداً اذا لم يكونوا أولياء الله ولم يكن فيهـم واحد معصوم)[5] .

---

(١) محاضرات في علوم الحديث ٢/٢٥ .
(٢) الفرق بين الفرق ١٤٣ .
(٣) تأويل مختلف الحديث ٤٣ .
(٤) الفرق بين الفرق ٢٢٨ .
(٥) الفرق بين الفرق ١٢٨ – ملل الشهرستاني ١/٥٣ .

وفي انكارهم للمتواتر واشتراطهم – لثبوت الخبر – أن يكون أحد رواته من أهل الجنة ، تعطيل للأخبار الواردة في الأحكام الشرعية وبذلك يَتفصَّوْن من الأوامر والنواهي ويتحللون من الشريعة تماماً .

جـ – ردهم لخبر الآحاد

وخبر الآحاد هو ما رواه واحد او اثنان او ثلاثة فأكثر دون بلوغ عدد التواتر أو وصل ولكن فقد شرطاً من شروط التواتر ، وقد اشترط العلماء في راويه لقبوله العدالة والضبط [1] .

ومتى توفرت فيه شروط القبول يصبح حجة معمولاً به وجوباً على رأي الجمهور سواء كان خبر الآحاد صحيحاً لذاته أو صحيحاً لغيره حسناً لذاته أو حسناً لغيره[2] ، بل ذهب بعضهم الى القول بأنه يوجب العلم والعمل جميعاً[3] .

وخالف المعتزلة ما ذهب اليه جمهور العلماء المسلمين ، وردوا خبر الواحد مشترطين التعدد ، فهذا أبو الحسن الخياط

---

(١) فتح الباري ٣٦٠/١٦ .
(٢) تيسير علوم الحديث والرد على اعداء السنة ٨٣ .
(٣) جوامع بيان العلم وفضله ٤٢/٢ .

أنكر حجة أخبار الآحاد[1] وهذا أبو علي الجبائي – كما ينقله عنه المازري وغيره[2] – لا يقبل الخبر اذا رواه العدل الواحد الا :

أ ـ إذا اِنْضَمَّ إليه خبر عدل آخر.

ب ـ أو عضده ظاهر خبر آخر أو موافقة ظاهر الكتاب.

جـ – أو عمل به بعض الصحابة .

بل فقد نسب بعضهم الى الجبائي أنه لا يقبل الخبر الا اذا رواه أربعة[3] .

وللمعتزلة في رد خبر الواحد حجج نذكر منها :

١ – قصة ذي اليدين[4] وكون النبي ﷺ توقف في خبره حتى تابعه عليه غيره .

٢ – وقصة أبي بكر حين توقف في خبر المغيرة في ميراث الجدة حتى تابعه محمد بن مسلمة[5] .

---

(١) الفرق بين الفرق ١٨٠ .

(٢) فتح الباري ١٦/٣٦٠ .

(٣) المصدر السابق ١٦ – ٣٦٠ - تدريب الراوي ١/٧٣ .

(٤) ذو اليدين: هو الخرباق بن عمرو: انظر زهر الربى على المجتبى ٣/١٨. وانظر قصة ذي اليدين في الفتح ١٦/٣٦٥ .

(٥) جاء في فتح الباري ١٦/٣٦٢ : ويتوقف ابو بكر وعمر في حديثي المغيرة في الجدة وفي ميراث الجنين ، حتى شهد بهما محمد بن مسلمة) .

٣ – وقصة عمر حين توقف في خبر أبي موسى في الاستئذان حتى تابعه أبو سعيد الخدري[١] .

وقد تناول علماء السنة التدليل على حجية خبر الواحد فعقد الامام الشافعي باباً بهذا العنوان في رسالته[*] ، كما أن البخاري عقد في جامعه الصحيح باباً لهذا الغرض ترجم له بقوله : باب ما جاء في اجازة خبر الواحد الصدوق ، ولا يكاد كتاب من كتب المصطلح يخلو من اثبات حجية خبر الواحد ودحض الشبه التي تحوم حوله ، وقد تولى ابن حجر الرد على حجج المعتزلة في خبر الآحاد ، فبين أن توقف الرسول ﷺ في قبول خبر ذي اليدين لا حجة فيه للمعتزلة لأن سؤال ذي اليدين عارض علم الرسول ، وكل خبر واحد اذا عارض العلم لم يقبل[٢] .

وانفراد ذي اليدين بمراجعة الرسول ﷺ دون المصلين جميعاً على كثرتهم وأهميتهم مما يدعو الرسول الى استبعاد حفظ ذي اليدين وتجويز الخطأ عليه[٣] وقد طفحت كتب الآثار بأمثلة عديدة تؤيد اعتبار الرسول ﷺ لخبر الواحد حجة فقد

---

(١) تدريب الراوي ٧٣/١ .
(*) الرسالة ١٥٩
(٢) فتح الباري ٣٦٢/١٦ .
(٣) فتح الباري ٣٦٥/١٦ .

(بعث رسله واحداً واحداً الى الملوك ، ووفد عليه الآحاد من القبائل فأرسلهم الى قبائلهم ، وكانت الحجة قائمة باخبارهم عنه مع عدم اشتراط التعدد[1] .

أمـا عن قصة توقف أبي بكر في خبر المغيرة بن شعبة في ميراث الجدة ، فهـذا ليس منه مطرداً ، فهو يطلب مزيداً من التثبت والتحوط لا اتهاماً للمغيرة ، باعتباره راوياً فرداً . وقد قبل أبو بكر أخبار آحاد كثيرة[2] .

وأمـا قصة عمر فان أبا موسى أخبره بذلك الحديث بعد أن أنكر عليه رجوعه بعد الاستئذان ثلاثاً ، وتوعده ، فأراد عمر أن يتثبت خشية أن يكون أبو موسى انما أورد الحديث دفعاً عن نفسه[3] .

وغاية ما يؤخذ من الحديث - على حد تعبير ابن بطال - (التثبت في خبر الواحد لما يجوز عليه من السهو وغيره[4] سيما وجاء في احدى الروايات أن عمر قال لأبي موسى (أما اني لم اتهمـك ولكني أردت أن لا يتجرأ النـاس على الحديث عن رسول الله ﷺ) .

---

(١) تدريب الراوي ١/٧٣ .
(٢) أنظر فتح الباري وتدريب الراوي ١/٧٣ .
(٣) المصدرين السابقين .
(٤) فتح الباري ١٣/٢٦٧ - وانظر الرسالة ١٨٨ .

وقد قبل عمر كثيراً من أخبار الآحاد العدول :

أ – فقد قبل خبر عبد الرحمن بن عوف وحـــده في أخذ الجزية من المجوس[1] .

ب – كما قبـــل خبره في الرجوع عن البلد الذي فيـــه الطاعون[2] .

جـ – وقبل خبر الضحاك بن سفيان في توريث امرأة أشيم من دية زوجها[3] .

د – كما قبل خبر عمرو بن حزم في أن دية الأصابع سواء[4] .

هـ – وقبل أيضاً خـــبر سعد بن أبي وقاص في المسح على الخفين[5] .

و – وقبل خبر حمل بن مالك بن النابغة في دية الجنين ، وكاد يحكم فيه باجتهاده ، وقـد قال : (لو لم أسمع فيه

---

(١) سنن أبي داود ٢/١٥٠ .

(٢) تدريب الراوي ١/٧٤ – الرسالة ١٨٦ – البخـــاري انظر فتح الباري ١٢/٢٩٣ – ٢٩٤ .

(٣) تدريب الراوي ١/٧٤ – الرسالة ١٤٨ – ١٨٥ انظر فتح الباري ١٣/٢٦٧ .

(٤) فتح الباري ١٦/٣٦٢ .

(٥) فتح الباري ١/٣١٧ – ٣١٨ – ١٦/٣٦٢ .

لقضينا بغيره) [١] كما قبل غيرها من الأخبار .

وهكذا يتبين لنا أن حجج المعتزلة واهية أمام واقع عمل الرسول ﷺ والصحابة (رض) بأخبار الآحاد .

وقد يضطر المعتزلة أحياناً لقبول خبر الواحد [٢] ـ لسبب أو لآخر ـ الا أنهم حين يضطرون اليه فلا يروونه بصيغة الجزم وانما يروونه بصيغة اَلتَّمْرِيضُ [٣] .

وردهم لخبر الآحاد يفسر هدفهم الرامي الى إنكار أكثر أحكام الشريعة لأن أغلب الفروض والمسائل الشرعية قائمة على أخبار الآحاد [٤] .

د ـ تشكيك المعتزلة وانكارهم للكثير من الأحاديث :

لقد آمن المعتزلة بأصولهم الخمسة وما يتفرع عنها من المبادىء والمفاهيم وجعلوا منها قاعدة يخضعون لها كل النصوص سواء كانت قرآنية أو حديثية : فما يعارض مبادئهم من الآيات يؤولونه ، وما يعارضها من الاحاديث يردونه وينكرونه ،

---

(١) الرسالة ١٨٥ .
(٢) فضل الاعتزال ٧١ .
(٣) فضل الاعتزال ١٨٦ .
(٤) الفرق بين الفرق ١٨٠ .

ولذلك كان موقفهم من الحديث كما يقول أحمد أمين : (موقف المتشكك في صحته وأحياناً موقف المنكر له لأنهم يحكمون العقل في الحديث لا الحديث في العقل)[1] .

ولذلك نشهد استخفافاً بالحديث وجرأة على حملته بلغت بعمرو بن عبيد الى القول حين ذكر له حديث للرسول ﷺ : (لو سمعت الاعمش يقول هذا لكذبته ، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته ، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا)[2] فتحكيمه للعقل جعله يعترض على الرسول ﷺ وعلى الله ، وكثيرون هم هؤلاء المجترئون على الله والرسول اعتماداً على ما تزينه لهم عقولهم والشيطان من أمثال (الخوارج والمعتزلة وضَعَفة أهل الرأي حتى انسل اكثرهم عن الدين ، وأتت فتاويهم ومذاهبهم مختلة القوانين وذلك لأنهم اتبعوا السبل وعدلوا عن الطريق ، وبنوا أمرهم على غير أصل وثيق)[3] أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جُرف هار)[4] .

ولعزوف المعتزلة عن الحديث قابلهم أهل السُّنّة والجماعة

---

(١) ضحى الإسلام ٣/٨٥ .
(٢) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٨ .
(٣) الالماع ٧ .
(٤) سورة التوبة ١٠٩ .

بامتهانهم واحتقارهم مهما كان جاههم ومنصبهم في الدولة ، فهذا المعتصم الخليفة العباسي يلتفت الى أحمد بن حنبل ويقول له : (كلم ابن أبي دؤاد[1] فأعرض عنه أحمد بوجهه وقال : كيف أكلم من لم أره على باب عالم قط ؟) يريد عالم الحديث .

وقد بلغ بالمعتزلة عداؤهم للحديث أن ردوا نصوصاً كثيرة صحيحة : فقد ردوا حديث الشفاعة[2] وحديث انشقاق القمر[3] كما سنبين ذلك بعد حين وردوا حديث « جف القلم بما أنت لاق[4] » ، كما رد النظام حديث « السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه »[5] ذلك أن هذين الحديثين يتعارضان مع ما يؤمنان به من نفي القدر وهما حديثان خرجهما البخاري في الجامع الصحيح[6] .

ورد القاضي عبد الجبار حديث الرسول ﷺ : اذا قاتل « أحدكم أخاه ، فليجتنب الوجه ، فان الله خلق آدم على

---

(١) الالماع ٢٨ .
(٢) السنة ومكانتها في التشريع ٢٠٣ .
(٣) تأويل مختلف الحديث ٢١ – الفرق بين الفرق ٣١٩ .
(٤) البخاري – فتح الباري ٢٩٣/١٤ – أنظر فضل الاعتزال ٩٥/٩٤ .
(٥) تأويل مختلف الحديث ٢١ .
(٦) أنظر فتح الباري ٢٨٢/١٤ ، ٢٩٣ .

صورته[١] » ، وقال ان مثل (هذه الأخبار لا يجوز التصديق بها اذا كانت مخالفة للأدلة القاطعة)[٢] .

والعجيب هنا هو ميلهم الى الانكار ونكوصهم عن التأويل ذلك أن بعض الأحاديث مثلها مثل بعض الآيات المتشابهة التي تحتاج الى فهم عميق ، يوفق بين مـــا يبدو من الاختلاف أو التعارض بينها وبين العقل .

وقد تولى أهل السنة درس هذا الحديث الذي رده القاضي عبد الجبار فقالوا: واختلف الى ماذا يعود الضمير في (صورته):

١ ــ فقيل: الى آدم: أي خلقه على صورته التي استمر عليها إلى أن اهبط وإلى أن مات دفعاً لمن تـوهم أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى، ـ أو ابتدأ خلقه. كما وجد لم ينتقل في النشأة كما ينتقل ولده من حالة الى حالة .

وقيل للرد على الدهرية انه لم يكن انسان الا من نطفة ولا تكون نطفة انسان الا من انسان ولا أول لذلـك ، فبين أنه خلق من أول الأمر على هذه الصورة .

---

(١) اخرجه البخاري أنظر فتح الباري ١٣/٢٣٨ ومسلم ٤ / ٢٠١٧ ، ٢١٨٣ .

(٢) فضل الاعتزال ١٥١ .

وقيل للرد على الطبائعيين الزاعمين أن الانسان قد يكون من فعل الطبع وتأثيره ...

٢ – وقيل: (الضمير لله... والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك ، وان كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء)[١] .

هكذا أعمل أهل السنة في مثل هذه الأحاديث المختلفة والمشكلة ، التأويل المتزن المنطقي ولم يجرؤوا على ردها ، لأنها أحاديث صحيحة ثابتة بينما نكص المعتزلة عن اعمال العقل ، وهم من قدم العقل وكان العقل عندهم حكر على التشكيك في الشرع ونصوصه ورجاله .

ﻫ – كذبهم في الحديث :

ثبت لنا أن المعتزلة يعتبرون العمل شرط صحة لثبوت الايمان الا أن الكثيرين من أعلامهم اشتهروا بالتهاون في أداء الفروض وقلة التدين وعدم التورع عن ارتكاب بعض المحرمات ويتضح لنا ذلك عند النظام وثمامة بن أشرس وغيرهما .

كما أن بعض زعمائهم لا يترددون عن الكذب في الحديث : جاء في مقدمة صحيح مسلم « كان عمرو بن عبيد يكذب في

(١) فتح الباري ١٣/٢٣٨ – ٢٣٩ .

الحديث[1] » . ومن أمثلة أكاذيبه ما نسبه للحسن البصري حول السكران بالنبيذ من أنه لا يجلد . وسئل أيوب السختياني عن صحة ذلك فقال : (كذب ، أنا سمعت الحسن يقول : يجلد السكران من النبيذ)[2] .

ومن أمثلة أكاذيبه أيضاً ما نسبه للحسن كذلك من روايته عن رسول الله ﷺ : « اذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » وقد كذبه أيوب . ولا ريب أن هذا الحديث ظاهر الوضع .

وكثيرة هي المسائل التي ينسب أحكامها الى الحسن ، وهي على الحقيقة من رأيه هو[3] .

ولتأييد مذهبه الاعتزالي فان عمرو بن عبيد كثيراً ما يورد الحديث دون بيان تأويله ، من ذلك ما رواه عن الرسول ﷺ من قوله : (من حمل علينا السلاح فليس منا) وقد سئل عن ذلك عوف بن أبي جميلة فقال : (كذب والله عمرو ولكنه أراد أن يحوزها الى قوله الخبيث) . بمعنى أن عمراً أورد هذا الحديث لتأييد ما يذهب اليه المعتزلة من تفسيق مرتكب الكبيرة وتخليده في النار ولما كان مستل السيف على أخيه

(١) مقدمة صحيح مسلم ١/٢٢ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٣ .
(٣) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٣ .

المسلم مرتكباً لكبيرة فهو ليس من أمة الاسلام وبالتـالي فهو مخلد في النار[1] .

ولهذا نجد العلماء يضعفون عمراً ويردون أحاديثه من ذلك أن الفلاس قال : (عمرو متروك صاحب بدعة)[2] . بل فان الناس كانوا يتحاشون حتى مجالسته لاغراقه في الابتداع رغم ما يشاع عنه من ورع !!

واذا جوز النظام الكذب على المكره حيث قال : (اذا لم يعرف التعريض والتورية فيما أكره عليه فله أن يكذب ويكون وزره موضوعاً عنه)[3] فان أكثر المعتزلة بمـا فيهم النظام لا يتورعون عن الكذب لا للاكراه ولكن لتأييد ما يذهبون اليه من آراء متعسفة كما رأينا بالنسبة لعمرو بن عبيد ، وكما يروى عن القاضي عبد الجبار الذي يروي عن ابن عباس قول الرسول ﷺ (خمس لا يعذر بجهلهن أحد :

١ – معرفة الله تعالى ، أن يعرفه ولا يشبّه به شيئاً .

٢ – والحب في الله .

٣ – والبغض في الله .

---

(١) أنظر صحيح مسلم ١/٢٢ – انظر الحاشية رقم ٣و٤ .
(٢) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٥ .
(٣) ملل الشهرستاني ١/٥١ .

٤ – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٥ – اجتناب الظلمة [١] .

وهذا الحديث ينكره الرواة ، وانما تمسك به المعتزلة ليثبتوا به وجوب معرفة الله بالدليل[٢] .

فالحديث الشريف لم يسلم من المعتزلة حيث جرّحوا رواته من الصحابة ، وأنكروا المتواتر منه وردوا الآحاد وأنكروا وشكوا في الكثير من الأحاديث وأخيراً كذبوا في الحديث لتقوية بدعتهم ، فهم وان لم يكترثوا بالحديث الا أنهم يلجأون اليه ، وان اضطرهم ذلك الى الوضع حين يرومون تأييد مذهبهم .

واذا كان هذا موقفهم من الحديث فما هو موقفهم من الاجماع والقياس ؟

موقفهم من الاجماع والقياس :

يعتبر الاجماع والقياس من المصادر الأساسية للتشريع الاسلامي[٣] بعد القرآن ذلك أن شريعة السماء انما تستمد

---

(١) فضل الاعتزال ١٥٠ .
(٢) فضل الاعتزال هامش رقم ٥٥ .
(٣) انظر بحثاً قيماً « بالعربي » عدد ١٥٠ ص ٢١ .

شرعيتها وأحكامها من الله تعالى ، إما بطريق مباشرة وهي القرآن أو غير مباشرة وهي سنة الرسول المقبولة : صحيحة وحسنة ، ثم الاجماع والقياس اللذان يستندان الى روح القرآن والسنة .

وقد عرف العلماء القياس بأنه (إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه لاشتراكهما في علة الحكم[1] أو هو الحكم للنظير بحكم نظيره اذا كان في معناه والحكم للفرع بحكم أصله اذا قامت فيه العلة التي من أجلها وقع الحكم)[2] .

والقياس مأخوذ من أكثر من آية في القرآن الكريم (لعلمه الذين يستنبطونه منهم)[3] إذ الاستنباط هو الاستخراج وهو بالقياس لأن النص ظاهر[4] ، وكذلك مأخوذ من قياس الرسول ﷺ في أكثر من حكم ، وقد عقد الامام البخاري في جامعه الصحيح باباً ترجم له بقوله : (باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين) ، وقد بين النبي ﷺ حكمها ليفهم السائل[5] أورد فيه

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ٢/١٥٤ .
(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٢ .
(٣) سورة النساء ٨٣ .
(٤) فتح الباري ١٧/٦٢ – ٦٣ .
(٥) فتح الباري ١٧/٥٩ – معنى : أصل مبين أي كان غامضاً ثم بيّن بمعلوم .

عدداً من الأحاديث التي تثبت قياس الرسول ﷺ الصريح .

أما الاجماع : فهو اجماع علماء الأمة الاسلامية على أمر ما فيصبح بذلك حكماً شرعياً والاجماع مأخوذ من قول الله تعالى: « ويتبع غير سبيل المؤمنين »[1] وقول الرسول ﷺ : لا تجتمع أمتي على ضلالة[2] .

والعمل بالقياس معلوم عند علماء الأمة وقد ساروا عليه قديماً وحديثاً حتى حدث ابراهيم النظام ، وقوم من المعتزلة سلكوا طريقه في نفي القياس[3] ... وخالفوا ما مضى عليه السلف ... واتبعهم من أهل السنة على نفي القياس في الأحكام داود بن علي[4] بن خلف الاصبهاني الظاهري (تـ ٢٧٠ هـ) .

أما النظام فقد رد حجية الاجماع والقياس معاً ذلك أن الحجة عنده انما تنحصر في قول الامام المعصوم تأسياً بما يذهب اليه بعض الشيعة الذين جعلوا الدين طاعة رجل واحد وهو امامهم[5] .

---

(١) سورة النساء ١١٥ .
(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله ٣٢/٢ .
(٣) الفرق بين الفرق ١٣٢ ــ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ٢٠٦ .
(٤) جاء في شجرة النور الزكية لمخلوف:ان(داود الاصبهاني..طرح القياس ٢٧/١) .
(٥) ملل الشهرستاني ١٤٧/١ ، ١٥٤، ١٨٠ .

وقد تصدى جمع من المعتزلة أنفسهم للرد عَلَى النظام من أمثال بشر بن المعتمر شيخ البغداديين ورئيسهم ، وأبي الهذيل العلاف وهما من رؤساء المعتزلة وأهل الكلام وَكَانَا مِنْ أشد الناس نصرة للقياس واجتهاد الرأي في الأحكام ، وقد قمما أبا الهذيل وأصحابه [1] .

كما خالفه بشر بن غياث المريسي (ت ٢١٨ هـ) وهو فقيه معتزلي عارف بالفلسفة يرمى بالزندقة [2] والقول بخلق القرآن ، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف وكان من المغرقين في القياس الناصرين له الدائنين به [3] وان كان لا يرى الاجماع كما سنرى بعد حين .

واذا انقسم المعتزلة حول القياس فان موقفهم من الاجماع يكاد يكون متحداً حول رد الاجماع ، نعم ، نجد القاضي عبد الجبار يقر حجة الاجماع مستشهداً بقول الرسول ﷺ لا تجتمع أمتي على خطأ وعليكم بالجماعة [4] ، ولئن شرح المراد بالجماعة وهو ما أجمعت عليه الأمة وثبت ذلك من اجماعها ، فانه يجعل

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٧٧ - ٧٨ ونحوه في فتح الباري ٥٩/١٧ .

(٢) الاعلام للزركلي ٢٨/٢ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٧٨/٢ .

(٤) فضل الاعتزال ١٣٨ .

هذا الاجماع لا يرتبط بالعدد بقدر ما يرتبط بطاعة الله والتزام السمت السَّوِيّ، فهو عنـــده ينطبق حتى على الفرد الواحد ، مستشهداً على رأيه هذا بما ينسبه لابن مسعود : (الجماعة مـــا وافق طاعة الله وان كان رجلاً واحداً) [1] .

وعلى هـــذا الأساس يصف من يخالف المعتزلة من المشنعين عليهم بأنهم (عند التحقيق لا يميزون ما يقولون) [2] ويصف أصحابه بأنهم هم المتمسكون بالسنة والجماعة دون هؤلاء المشنعين عليهم [3] .

وفي الحقيقة فان الواحد لا يمكن أن يكون اجماعاً، والا فان المفاهيم تصبح مقلوبة منكوسة ولعـل في اعتراف القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) بالاجماع وهو من رجال القرن الرابع وأوائل الخامس ، وقد شهد مـا لحق المعتزلة من النكبات نتيجة غلوهم ومخالفتهم الصريحة للكثير ممـــا يدين به المسلمون ومما هو وارد في الكتاب والسنة ، لعل في اعترافه بحجية الاجماع تخفيفاً عن المعتزلة بعض أوزارهم ، إلا أن التوفيق جانبه لما عرفه ذلك التعريف المتجافي حتى مع المعنى اللغوي للاجماع فضلاً عن معناه الاصطلاحي .

أما النظام فانه أبطل صراحة حجية الاجماع وذهب الى

---

(١) و (٢) و (٣) فضل الاعتزال ١٨٦ .

تجويز اجماع الأمة في جميع الأعصار على الخطأ من جهة الرأي والاستدلال [1] ويستدل على رأيه هـــذا بأن الأمة الاسلامية أجمعت (على أن النبي ﷺ بعث الى الناس كافة دون جميع الأنبياء ، وليس كذلك ، وكل نبي في الأرض بعثه الله تعالى فالى جميع الخلق بعثه لأن آيات الأنبياء – لشهرتها – تبلغ آفاق الأرض ، وعلى كل من بلغه ذلك أن يصدقه ويتبعه) [2] .

وهذه الحجة تتنافى وقول الرسول ﷺ : بعثت الى الناس كافة وبعثت الى الأحمر والأسود ، وكان النبي يبعث الى قومه، وقد رواه البخاري في كتابي التيمم [3] والصلاة [4] والنسائي في كتاب الغسل [5] والدارمي في كتاب الصلاة [6] .

وقد خالف النظام اجماع الأمـــة على وجوب الوضوء من النوم ، وابتدع القول بأن النوم لا ينقض الوضوء وعلل مخالفته هذه بقوله :

---

(١) الفرق بين الفرق ١٤٣ – ٣١٩ – ٣٢٨ – تأويل مختلف الحديث ١٨ – السنة ومكانتها في التشريع ٢٠٣ .
(٢) تأويل مختلف الحديث ١٨ .
(٣) فتح الباري ١/٤٥٣ – ٤٥٥ .
(٤) فتح الباري ٢/٧٩ .
(٥) النسائي ١/١٧٢ .
(٦) الدارمي ١/٢٦٣ .

(وانما أجمع الناس على الوضوء من نوم الضجعة لأنهم كانوا يرون أوائلهم اذا قاموا بالغداة من نوم الليل تطهروا ، لأن عادات الناس الغائط والبول مع الصبح ، ولأن الرجل يستيقظ وبعينه رمص وبفيه خلوف، وهو متهيج الوجه ، فيتطهر لِلْحَدَثِ والنشرة [1] لا للنوم [2] .

والنوم خلافاً لما يذهب اليه النظام ينقض الوضوء سيما اذا لم يكن نعسة أو خفقة خفيفة ، وقد عقد البخاري في جامعه بابا ترجم له بقوله : باب الوضوء من النوم [3] أورد فيه أحاديث كثيرة تثبت تلك الترجمة .

وخالف النظام اجماع الأمة أيضاً بقوله: (ان الطلاق لا يقع بشيء من الكنايات كقول الرجل لامرأته: أنت خلية أو برية أو حبلك على غاربك أو البتة أو إلحقي بأهلك أو اعتدي أو نحوها من كنايات الطلاق عند الفقهاء سواء نوى بها الطلاق أو لم ينوه) [4] .

ذلك أن ما ذهب اليه المسلمون اعتبار النية . وقد عقد

---

(١) النشر : الريح الطيبة أو أعم أو ريح فم المرأة واعطافها بعد النوم (القاموس ٢/١٤٧) .
(٢) تأويل مختلف الحديث ١٩ .
(٣) فتح الباري ١/٣٢٥ .
(٤) تأويل مختلف الحديث ١٩ – الفرق بين الفرق ١٤٥ – ١٤٦ .

البخاري لهذا المعنى باباً ترجم له بقوله: (باب اذا قال فارقتك ، أو سرحتك أو الخلية أو البرية أو ما عني به الطلاق ، فهو على نيته)[1].

ومن لطيف ما يروى عن بشر بن غياث المريسي المعتزلي في رد الاجماع أنه سأل الامام الشافعي في حضرة هارون الرشيد : (ادعيت الاجماع ، فهل تعرف شيئاً أجمع الناس عليه ؟).

قال الشافعي : نعم أجمعوا على أن هذا الحاضر أمير المؤمنين فمن خالفه قتل[2].

فالاجماع حقيقة تستند الى الكتاب والسنة لا يمكن انكارها، ولا يمكن فهمه الا بالشكل السوي الذي فهمه به السلف الصالح.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الطلاق – انظر فتح الباري ١١ / ٢٨٦ .
(٢) مناقب الشافعي ١/٤٠١ .

صُوَرٌ مِن انحِرَافات المُعتزلة عَن السُّنّة

ان موقف المعتزلة من صحابة الرسول ﷺ الجافي لمـــا قررته السنة وبيّنه القرآن العزيز من وجوب احترامهم واكبارهم وان كذبهم في الأحاديث المنافى مع وعيـد الرسول للكذابين عليه وهو القائـــل (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[1] وهو حديث متواتر يقول عنه ابن الجوزي قد رواه من الصحابة ثمانية وتسعون صحابياً وان انكارهم أو تشكيكهم في بعض الأحاديث ، وإبطالهم قبول المتواتر والآحاد ، هـذه المواقف جميعهـــا تعتبر انحرافاً عن السنة ومجافاة للسلوك الذي سنّ إتّبَاعَهُ الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم ... وقـد أوردت من الأدلة ما يثبت هذا الانحراف عن الهدي النبوي .

وفي هذا الفصل نضيف عدداً آخر من المواقف والآراء التي آمن بها المعتزلة ووقفوا ينفحون عنها ويعضدونها بأدلتهم العقلية :

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي ١/٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ .

أ – وجوب معرفة الله بالدليل :

لقد كان الايمان بالله في عهد الرسول والصحابة بسيطاً غير معقد ، حتى اذا ما نشأت فرقة المعتزلة أدخلت مباحث غريبة عن الاسلام متأثرة بالمذهب والمقولات الفلسفية ، وكان البحث في معرفة الله بالدليل وايقاف صحة الايمان على ذلك من بين تلك الموضوعات التي أَحْدَثَهَا المعتزلة ، وبذلـــك فرضوا على الفرق الأخرى النظر فيها ، وقـد ورثها عنهم الأشاعرة رغم انفصالهم عن المعتزلة ، فقد جـاء عن أبي جعفر السماني – وهو من كبار الأشاعرة – قوله : (ان هذه المسألة من مسائل المعتزلة بقيت في المذهب) [1] أي المذهب الأشعري .

ولشدة تعلق المعتزلة بهذا المبحث فانهم جعلوه منضوياً تحت مفهوم الايمان فهذا أبو شمر يزعم (أن المعرفة بالله وبمـا جاء من عنده ... ومعرفة التوحيد والعدل ، عدل الله سبحانه ، ونفي التشبيه عنه ، كل ذلك ايمان والشاك فيه كافر) [2] .

وشغفهم هـــذا دفع بالقاضي عبد الجبار الى أن يستشهد بحديث ينكره الرواة كما يقول فؤاد السيد [3] ليبرر مـا ذهب

---

(١) فتح الباري ١/٧٧ .

(٢) مقالات الاسلاميين ٢/١٧١ .

(٣) انظر فضل الاعتزال ١٥٠ هامش رقم ٥٥ .

اليه المعتزلة من وجوب معرفة الله : (عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : خمس لا يعذر بجهلهن أحد ، معرفة الله تعالى أن يعرفه ولا يشبّه به شيئاً) [1] .

واذا كانت معرفة الله وصفاته مقررة في الاسلام، فان تعقيد هذه المعرفة ووجوب تحصيل الدليل عليها هو البدعة المنافية مع السنة الصحية .

فهذا أبو هاشم (عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي ابن أبي علي الجبائي) من المعتزلة ذهب الى أن (من لا يعرف الله بالدليل فهو كافر) لأن ضد المعرفة النكرة ، والنكرة كفر [2] .

كما أن ابراهيم بن سيار النظام ذهب الى أن المتمكن من المعرفة ان كان عاقلاً (يجب عليه تحصيل معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال) [3] .

نعم أن التقليد مذموم . لذلك نجد بعض أهل السنة يوجب الاستدلال هو أيضاً الا أنه لم يرد به (التعمق في طرق المتكلمين) بل اكتفى بما لا يخلو عنه من نشأ بين المسلمين من الاستدلال

---

(١) فضل الاعتزال ١٥٠

(٢) فتح الباري ١١٨/١٧ .

(٣) ملل الشهرستاني ٥٨/١ ،

بالمصنوع على الصانع ، وغايته ، أنه يحصل في الذهن مقدمات ضرورية تتألف تألفاً صحيحاً وتنتج العلم ، لكنه لو سئل : كيف حصل له ذلك ما اهتدى للتعبير عنه [1] .

ويقول ابن حجر لا حجة لمن اشترط النظر (لأن من لم يشترط النظر لم ينكر ، أصل النظر ، وانما أنكر توقف الايمان على وجود النظر بالطرق الكلاميّة ، اذ لا يلزم من الترغيب في النظر جعله شرطاً) [2] .

واذا كان في النظر بالنسبة للجماهير مشقة لم يوجبها عليهم الشرع ، فان فيه بالنسبة للعلماء والمختصين (فائدة معتبرة اذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها) [3] .

والذي يثبت مخالفة ما ذهب اليه المعتزلة من وجوب معرفة الله بالدليل ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر (أن رسول الله ﷺ قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم

---

(١) فتح الباري ١٧/١١٨ .

(٢) فتح الباري ١٧/١٢٢ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٨٣٨ .

على الله) [١] .

ففي هـــذا الحديث كما يقول ابن حجر (دليل ... على الاكتفاء في قبول الايمان بالاعتقاد الجازم خلافاً لمن أوجب تعلم الأدلة) [٢] .

وجاء عن معاوية بن الحكم قوله : (أتيت رسول الله ﷺ بجارية فقلت : يا رسول الله ، علي رقبة ، أفأعتقها ؟ فقال لها رسول الله : اين الله ؟ فقالت : في السماء فقال : ومن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : فأعتقها) [٣] .

فبهذه المعرفة الأولية المجملة بالله وبرسوله ثبت لهــا الاسلام وأجاز رسول الله ﷺ عتقها .

وكتب الرسول ﷺ الى هرقل وكسرى وغيرهمــا من الملوك يدعوهم الى التوحيد ورسائله كلها تثبت أنه ﷺ (لم يزد في دعائه ... على أن يؤمنوا بالله ويصدقوه فيما جاء به عنه ، فمن فعل ذلـــك قبل منه سواء كان اذعانه عن تقدم نظر أم لا) [٤] .

---

(١) البخاري : كتاب الايمـــان - باب فان تابوا ... انظر فتح الباري ٨٢/١ ، ٨٣ ، مسلم ٥٣/١ .

(٢) فتح الباري ٨٣/١ .

(٣) الرسالة ٤٣/٤٤ .

(٤) فتح الباري ١٢١/١٧ .

ب ـ انكارهم لرؤية الله يوم القيامة :

لقد سبق لنـــا ان بينا أن غلو المعتزلة في فهمهم لعقيدة التوحيد تفرع عنه أ ـ ايمانهم بنفي الصفات ب ـ نفي الرؤية. ج ـ القول بخلق القرآن . نفي الصفات فقالوا : بخلق القرآن اعتقاداً منهم أن ثبوت قدم أي صفة بما فيها كلامه تعالى : يثبت مع الله قديماً غيره ، وهذا عين الشرك في نظرهم ، ونفوا الرؤية لأنها تقتضي الجسمية وهي مما يتنزه الله عنه .

والمعتزلة أجمعوا على أن الله سبحانه ليس بجسم ولا عرض وأن شيئاً من الحواس لا يدركه في الدنيا ولا في الآخرة . حتى أن بعضهم يكفر من يقول برؤيته (كما ترى المرئيات بالمقابلة أو المحاذاة أو في مكان حالا فيه دون مكان) [١] .

لكنهم اختلفوا هل يُرى الله بالقُلوب؟

فقال أبو الهذيـل وأكثر المعتزلة : نرى الله بقلوبنا ، بمعنى أنا نعلمه بقلوبنا، وأنكر هشام الفوطي وعباد بن سليمان ذلك[٢].

أما الحَابطية (أصحاب أحمد بن خابط تـ ٢٣٢ هـ) والحدثية

---

(١) أنظر فضل الاعتزال ٦٣ ـ مقالات الإسلاميين ١ / ٢٣٨ ـ ملل الشهرستاني ٨١/١ ـ مقالات الإسلامين ٣٢٩/١ .

(٢) المصدر السابق ٢٣٨/١ .

(أصحاب الفضـــل الحدثي (تـ ٢٥٧ هـ) فانهم آمنوا بالرؤية ولكنهم صرفوها الى رؤية العقل الأول العقـل الفعال)[١] . وفكرة العقل هذه فكرة يونانية آمن بها بعض الفلاسفة المسلمين وتسربت الى الفكر الاعتزالي .

والمعتزلة حين ينفون الرؤية يزعمون أن كل شيء يرى بالعين يجب أن يكون في مقابلة العـين ، أي ينبغي أن يكون جسماً يحتل حـــيزاً ، بهذا ناظر أبو اسحاق النصيبيني رئيس معتزلة البصرة أبا بكر محمد بن الطيب الباقلاني (تـ ٤٠٣ هـ)[٢] ، بل فان تعله الجسمية يركن اليها كل النفاة لرؤية الله .

يقول القرطبي : (اشترط النفاة في الرؤية شروطـاً عقلية كالبنية المخصوصة ، والمقابلة وايصال الأشعة وزوال الموانع كالبعد والحجب في خبط لهم وتحكم)[٣] .

والمعتزلة مناصرة منهم لرأيهم يردون كل الأحاديث النبوية التي تثبت الرؤية بدعوى أنها أحاديث آحاد (وانمـا يقبل خبر الواحد فيما طريقه العمل)[٤] ويحاولون في الوقت نفسه اختلاق

---

(١) ملل الشهرستاني ١/٦٣ .
(٢) اعجاز القرآن المقدمة للمحقق ٢٣ .
(٣) فتح الباري ١٧/١٩٥ .
(٤) فضل الاعتزال ١٥٨ .

أحاديث كثيرة تتساوق مع مذهبهم .

فهذا القاضي عبد الجبار يورد أثراً بصيغة التمريض ينسبه لابن عباس فيقول وروي أن نجدة الحروري [1] سأل ابن عباس فقال : كيف معرفتك بربك ؟ فقال : (أعرفه بما عرفني به نفسه من غير رؤية ، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالقياس معروف بغير تشبيه [2] .

كما ينسب خبراً لعائشة يقول (انها سمعت بأن القوم يقولون: بأن الله يرى ، فقالت : لقد قف شعري مما قلتموه ودفعت ذلك بقوله تعالى : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار [3]) .

أما الآيات القرآنية التي تثبت رؤية الله فانهم يقفون منها موقف التأويل والتخريج المتعسف :

فهذا الزمخشري يفسر قوله تعالى : «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » [4] بأن المراد بناظرة الثانية (بالظاء) منتظرة فالمؤمنون وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ينتظرون ذلك اليوم . ويبين أن تقديم المفعول به (الى ربها) يفيد

---

(١) وهو رأس الحرورية النجدات قتله اصحابه سنة ٦٩ هـ .

(٢) فضل الاعتزال ١٥٠ .

(٣) فضل الاعتزال ١٥٩ .

(٤) سورة القيامة ٢٣ .

الاختصاص بمعنى أن هــذه الوجوه (تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره ... ومعلوم أنهم ينظرون الى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت المدد في محشر يجتمع فيه الخلائــــق كلهم ... فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظوراً اليه محال ، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص) [1] .

ويستنجد بالعربية ليؤيد تأويله فيقول (والذي يصبح معه أن يكون من قول الناس : أنا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل :

(وإذا نظرت إليك من ملك. . . والبحر دونك زدتني نعماً[2]

وسمعت سرورية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبـوابهم ويـأوون إلى مقـايلهم تقـول: عيينتي نـويـظرة إلى الله وإليكم.

والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه [3] .

---

(١) الكشاف ٤/١٩٢ .

(٢) والمعنى : اذا رجوت عطاءك وأنت من الملوك والحـ ، ان البحر أقـل جوداً منك زدتني نعماً ، وهذا من قول الناس : أنا الى فلان ناظر ما يصنع بي ، يريد معنى التوقع والدعـــاء شرح شواهد الكشاف – انظر الكشاف ٤/٥٤٤ .

(٣) الكشاف ٤/١٩٢ .

وكل آية يمكن أن يستشعر منها معنى رؤية الله ، يؤولهـــا الزمخشري بشكل يدفع الرؤية ، فيشرح الفوز في قوله تعالى : « فمن زُحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز »[1] بقوله (وأي فوز أعظم من دخول الجنة) ويعلق سراج الدين البلقيني على ذلك بقوله (أشار الى عدم الرؤية)[2] .

وهو عين التأويل الذي ينقله القاضي عبد الجبار عن أبي علي الجبائي الذي يصور معنى التطور الذي طرأ على موقف مثبتة الرؤية . ذلك أن أوائلهم كانوا (يقولون بالرؤية مع التشبيه . ثم من بعد لما عرفوا فساد القول بالتشبيه ثبتوا على القول بالرؤية للالف والعادة ، واحتجوا بقوله « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة »[3] وهـذا لا حجة لهم فيه لأن النظر ليس هو الرؤية ، فتحمـــل الآية على النظر الى الثواب أو الانتظار . كما روي عن كثير من الصحابة)[4] .

فهو ينسب عقيدتهم الى الالف والعادة لا النظر والفهم ، ثم يؤول مستندهم من الآية بنفس تأويل الزمخشري الذي تناول أحمد ابن المنير الرد عنه في كتابه (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من

---

(١) سورة آل عمران ١٨٥ .
(٢) الاتقان ٢/١٩٠ .
(٣) سورة القيامة ٢٢ .
(٤) فضل الاعتزال ١٥٨ .

الاعتزال) فقال (ما أقصر لسانه عند هذه الآية فكم له يدندن ويطيل في حجب الرؤية ويشقق القباء ويكثر ويتعمق . فلما فغرت فاه صنع في مصامتها بالاستدلال ... ومما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه ولا يؤثر عليه غيره)[1] ويقول ابن بطال (إنّ تأويلهم لناظرة بمنتظرة خطأ لأنه لا يتعدى بإلى[2] ويتحدث ابن كثير عمن تأول حرف الجر «الى» في قوله تعالى : « الى ربها ناظرة» وفسره بأنه مفرد الآلاء وهي النعم فيقول : فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب اليه، وأين هو من قوله تعالى:«كلا انهم عن ربهم يومئذ لَمَحْجُوبُونَ»[3].

قال الشافعي رحمه الله لما سئل عن هذه الآية: لما حجب الله قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا. وسأله الربيع بن سليمان: أوتدين بهذا يا سيدي ؟ ، فقال (والله لو لم يوقن محمد بن ادريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا)[4] .

وبالاضافة الى الأدلة النقلية الصحيحة التي أوردها أهل السنة فانهم تناولوا شبهة المعتزلة العقلية بالرد عَلَيْهَا عقلياً ولغوياً

---

(١) مطبوع على هامش الكشاف انظر ١٩٢/٤ .
(٢) فتح الباري ١٩٥/١٧ .
(٣) تفسير ابن كثير ٣٠٥/٨ - ٣٠٦ .
(٤) مناقب الشافعي ٤١٩/١ .

فهذ ابن حجر يورد مـــا عدده البيهقي من الأوجه اللغوية التي تفيدها عبارة ناظرة في كلام العرب منتهياً الى أن أولاها بالقبول في الآية هو نظر الرؤية [1] .

وهـــذا أبو بكر الباقلاني يرد على اعتراض أبي اسحاق النصيبيني ويبين أن الرؤية لا تتم بالعين لما يستلزم ذلك من المكان (وانما يرى بالادراك الذي في العين، ولو كان الشيء يرى بالعين لكان يجب أن ترى كل عين قائمة ،وقـد علمنا أن الأجهر عينه قائمة ولا يرى شيئاً ...) ويبين أن اثبات رؤيته ليس فيه قلب لحقيقة ولا اثبات لما يتنافى مع تنزيه الله بل فلما كان الله أكمل الموجودات وجب أن يكون مرئياً (والشيء انمـــا يرى لأنه موجود) [2] .

وقريب من هذا المعنى يقرره ابن تيمية فهو يقول : (فكل ما كان وجوده أكمل كان أحق بأن يرى ... والموجود الواجب الوجود أكمل الموجودات وجوداً ، وأبعد الأشياء عن العدم ، فهو أحق بأن يرى ، وانمـــا لم نره لعجز أبصارنا عن رؤيته لا لأجل امتناع رؤيته) [3] .

---

(١) فتح الباري ١٧/١٩٤ .
(٢) اعجاز القرآن – المقدمة السيد صقر ٢٣ .
(٣) منهاج السنة ٢/٢٥٥ .

أما الأحاديث الصحيحة التي تثبت انحراف المعتزلة عنها ، فهي كثيرة وقد عقد الإمام البخاري في كتاب التوحيد باباً ترجم له بقوله باب قول الله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » [1] وقد أورد فيه عدداً من آثار الرسول ﷺ التي تثبت الرؤية .

كما عقد مسلم باباً في كتاب الايمان لهذا الغرض ترجم له النووي بقوله : (باب معرفة طريق الرؤية)[2] سرد فيه عدداً من الأخبار تثبت الرؤية منها :- جاء عن جرير بن عبد الله قوله : قال النبي ﷺ : انكم سترون ربكم عياناً وقد أورده البخاري عن جرير في كتابي مواقيت الصلاة [3] والتوحيد [4] ، وأورد نحوه عن أبي سعيد الخدري في كتاب التفسير [5] .

كما خرج نحوه مسلم عن أبي سعيد الخدري في كتاب الايمان[6] وعن أبي هريرة في كتاب الزهد والرقائق[7] .

---

(١) البخاري - انظر الفتح ١٧/١٩٣ .
(٢) مسلم الايمان - ١/١٦٧ .
(٣) البخاري - انظر الفتح ٢/١٧٢ - ٢/١٩٢ .
(٤) البخاري - فتح الباري ١٧/١٩٦ ، الأحاديث ٢١-٣-٤-٥ .
(٥) البخاري - الفتح ٩/٣١٨ .
(٦) مسلم ١/١٦٣ ، ١٦٧ .
(٧) مسلم ٤/٢٢٧٩ .

وخرجه أيضاً ابن ماجه عن جرير في المقدمة [1] وعن أبي هريرة في كتاب الزهد [2] كما أورد نحوه أبو داود في كتاب السنة عن أبي هريرة وخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة [3] عن أبي هريرة .

فرؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة لا يمكن دفعها وكل محاولة لمنعها انما هي إبطال متعمد للحديث الصحيح ، وتأويل متعسف لصريح القرآن العزيز .

ج – انكارهم لشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم :

الشفاعة التي أثبتها أهل السنة أربعة أنواع :

١ – الخلاص من هول الموقف ، وهي خاصة بمحمد رسول الله ﷺ .

٢ – الشفاعة في قوم يدخلون الجنة بغير حساب .

٣ – الشفاعة في رفع الدرجات .

---

(١) سنن ابن ماجه ١/٦٣.

(٢) المصدر السابق ٢/١٤٥١ .

(٣) سنن الترمذي ٤/٦٨٧،٦٨٨،٦٨٩ وأورده ابن خلاد الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص ٥٢٢ – فقرة ٦٥٨ – وأورد ابن كثير أحاديث الرؤية في تفسيره ٨٠/٤–٣٠٤–٣٠٥ .

٤ – الشفاعة في اخراج قوم من النار عصاة أدخلوها بذنوبهم.

والمعتزلة ولئن اشترطوا في النوع الثاني من الشفاعـــة أن تكون خاصة بمن لا تبعة عليه فانهم قبلوا النوعين الأول والثالث، بينما ردوا النوع الرابع[1]، لأنهم ينكرون شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من الأمة الاسلامية [2] مستندين الى المتشابه من قوله تعالى: «فما تنفعهم شفاعة الشافعين»[3] ولأنها تخالف مبدأهم في الوعد والوعيد.

وقد شذ عنهم أبو هاشم الجبائي حيث أقر الشفاعة مع كون الشفيع ساخطاً، وقال: (قد تصح بلا توبة) [4].

أما القاضي عبد الجبار فيقر شفاعة الرسول ولكنه يجعلها خاصة بأهل الثواب دون أهل العقاب ولأولياء الله دون أعدائه وتتمثل شفاعته صلى الله عليه وسلم في أن يزيدهم من الفضـــل والتعظيم في الجنة هذا هو مفهوم الشفاعة التي يثبتها ويخطىء من ينكرها خطأً عظيماً [5] مستدلاً على مـا ذهب اليه بقوله تعالى

---

(١) فتح الباري ١٧/٢٣٧.

(٢) مقالات الإسلاميين ٢/١٦٦.

(٣) سورة المدثر ٤٨.

(٤) فضل الاعتزال ٢٠٨ – ٢٠٩.

(٥) فضل الاعتزال ٢٠٧.

« ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع »[1] ، فأهل النار عنده يستحقون (اللعن والغضب والسخط فكيف يجوز للرسول ﷺ أن يشفع لهم ، ومن حق الشافع أن يكون محباً لمن يشفع له راضياً عنه ، وهذا يوجب ان كان عليه السلام يشفع لهم — أن يكون راضياً عمن سخط عليه ولعنه وذلك لا يصح) [2] .

فهم يصدرون في انكارهم للشفاعة عن ايمانهم بالوعد والوعيد، وعيد الله للمذنبين، وَوَعْدُهُ للاتقياء المطيعين ، وقد سبقت كلمة الله بذلك ، ولا مبدل لكلماته ، فاذا خرج المؤمن من الدنيا عن طاعة وتوبة استحق الثواب واذا خرج عن كبيرة ولم يتب خلد في النار [3] ، اذ لا يصح خروجهم منها لأنهم من أهل العقاب ، ولا يجوز مع ذلك أن يكونوا من أهل الثواب لأن ذلك كالمتضاد [4] .

وهم وان خلدوهم في النار إلا أنهم جعلوا عذابهم أخف من عذاب الكافرين .

وبموقفهم هذا يكونون قد أنكروا أمراً أثبت بالسنة

---

(١) سورة غافر ١٨ .

(٢) فضل الاعتزال ٢٠٨ .

(٣) المعتزلة لزهدى جار الله ٥١ — ٥٢ .

(٤) فضل الاعتزال ٢٠٩ .

الصحيحة ، جاء في سنن أبي داود عن أنس بن مالــــك عن النبي (ص) قال : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي [1] وبناء على ذلك فقد آمن أهل السنة بأن الله يخرج قوماً من النار بعد أن يمتحنوا بشفاعة الرسول ﷺ [2] .

وقد يعترض بعضهم بأن الشفاعة ليست واردة في القرآن ، وهذا لا يمنع ثبوتها ، وكثيرة هي المسائل والأحكام التي اختصت بذكرها السنة ، وقد قيل يوماً لعمران بن حصين وهو جالس في المسجد : يا أبا النجيد انكم لتحدثوننا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن ؟ فغضب عمران وقال لسائله : قرأت القرآن ؟ قال نعم . قال : فهل وجدت صلاة العشاء أربعاً ووجدت المغرب ثلاثاً ...؟ الى أن انتهى الى ذكر الشفاعة [3] مذكراً لهم بقوله تعالى : وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا [4] .

وقد استنبط العديد من الصحابة شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة من القرآن نفسه ، فهذا علي بن أبي طالب (رض) يقول :

---

(١) وخرج نحوه عن عمران بن حصين ٢/٥٣٧ وخرجـــه الترمذي ٤/ ٦٢٢- ابن ماجه ٢/١٤٤١- مسلم ١/١٩٥ - البخاري الفتح ٨/١٩٥- النسائي ١/١٧٢ - الدارمي ٢/٢٣٤ .
(٢) موعظة المؤمنين ١/١٠ .
(٣) دلائل النبوة ١/٣٥ - ٣٧ .
(٤) سورة الحشر ٧ .

(انكم يا معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن : يا عبادي الذين أسرفوا ... الآية لكنا أهـل البيت نقول : ان أرجى آية في كتاب الله : ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي الشفاعة) [1] .

د ـ انكارهم لمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم :

يعود انكار بعض المعتزلة لمعجزات رسولنـــا محمد ﷺ ومعجزات الرسل السابقين الى تصورهم للنبوة ، فقد اختلفوا فيما بينهم : هل هي جزاء أو ثواب ؟ أم لا ؟ فقـال بعضهم : هي ثواب وجزاء على عمل صالح عمله النبي ﷺ فاستحق أن يجزيه الله بالنبوة .

وقال آخرون ليست بجزاء ولا ثواب [2] وممن قـال بأنها جزاء على عمل عبّاد بن سليمان ، وممن قال بأنها تكون ابتداء أبو علي الجبائي [3] .

ونفي الاصطفاء عن النبوة رأي قديم أبداه بعض الفلاسفة حيث جعلوا النبوة مرتبة من المعرفة والسمو الروحي يبلغهـــا المجتهدون الذين يتدرجون في معاناة ورياضة نفسية خاصة .

---

(١) الاتقان ٢/١٦١ .
(٢) مقالات الاسلاميين ١/٢٩٧ ، ٢/٢٢٦ .
(٣) مقالات الاسلاميين ٢/١٣٧ .

وبذلك افتقدت النبوة جلالهـا وقدسيتها ، وصارت لدى هؤلاء الفلاسفة ومن تأثر بهم من المعتزلة من الموضوعـات التي يتناولونها بعيداً عما تستحقه من الاحترام . فهذا واصل بن عطاء يخطب فيجيد فيقول عمرو بن عبيد وكان شاهـداً الجمـع : « ترون لو أن ملكاً من الملائكة أو نبيـاً من الأنبياء يزيد على هذا » [١] ؟

بل بلغ بهم استهتارهم بمقام النبي ﷺ أن جوز عليه بعضهم تعمد ارتكاب المعاصي إلا أنها لا تكون إلا صغائر [٢] .

وبناء على هذا فان الكثير من المعتزلة يعتبرون الحجة قائمة على الناس بالعقل لا بالنبوة فحق من لم يبلغه خـبر الرسول فهو محجوج [٣] لتقصيره في أعمال عقله للوصول الى الحقيقة .

ومن المعتزلة من نفى أن تكون المعجزات دلائـل صدق الرسول ﷺ في دعواه الرسالة ففلـق البحر وقلب العصا حية ومحق السحر وانشقاق القمر والمشي على الماء وغيرها لا تدل في زعمهم على صدق الرسالة [٤] .

---

(١) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٧ .
(٢) ميزان الاعتدال ١/٢٩٧ .
(٣) المصدر السابق ١/٢٩٦ .
(٤) الفرق بين الفرق ١٦٢ .

والقرآن نفسه كما ذهب الى ذلـك هشام الفوطي وعبّاد بن سليمان (لم يجعل علماً على النبي ﷺ وهو عرض من الأعراض لا يدل شيء منها على الله ولا على نبوة محمد ﷺ) [1] .

فهل نعجب بعد هـذا اذا أنكر النظام (مـا روي من معجزات نبينـا ﷺ من انشقاق القمر وتسبيح ٱلْحَصَىَ في يده ونبوع الماء بين أصابعه) [2] ؟ فهو حين يتحدث عن رواية ابن مسعود لحديث الانشقاق يتناولها دون التزام لأي لون من ألوان الأدب ازاء الصحابة الذين قال عنهم الرسول ﷺ : لَا تَسُبُّـوا أصحابي فيقول :

(وهذا من الكذب الذي لا خفاء به لأن الله تعالى لا يشق القمر له وحده ولا لآخر معه وانما يشقه ليكون آية للعالمين) : فكيف لم يعرف بذلك العامـة ، ولم يؤرخ الناس بذلك العام ، ولم يذكره شاعر ولم يسلم عِنْدَهُ كافر ولم يحتج بـه مسلم على ملحد [3] ؟

وفي الحقيقة فانه بانكاره للكثير من معجزات النبي ﷺ انما يرمي الى انكار نُبُوَّتِهِ [4] سيما والنظـام معجب بقول البراهمة

---

(١) اعجاز القرآن للباقلاني – مقدمة سيد صقر ٨ .
(٢) الفرق بين الفرق ١٣٢ – السنة ومكانتها ٢٠٦ .
(٣) تأويل مختلف الحديث ٢١ – الفرق بين الفرق ٣١٩ .
(٤) الفرق بين الفرق ١٣٢ .

بابطال النبوات (ولم يجسر على اظهار هـذا القول خوفاً من السيف)[1] .

وقد تسرب هـذا التشكيك في المعجزات الى المسيحيين البيزنطيين، يتسنمونها لرد رسالة الرسول ﷺ ، فهذا الامبراطور باسيليوس الثاني[2] يسأل أبا بكر الباقلاني في سفرتـه الى بيزنطة : هذا الذي تدعونه من معجزات نبيكم : من انشقاق القمر كيف هو عندكم ؟ .

ويتصدى الباقلاني للجواب : هو صحيح عندنا انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأى الناس ذلك ، انمـا رآه الحضور ومن اتفق نظره في تلك الحال ويقول الملك : وكيف لم يره جميع الناس ؟

فيجيب الباقلاني : لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعـد لشقوقه وحضوره ثم قاس له بالخسوف الذي لا يراه جميع أهل الأرض، وانما يراه من كان في محاذاته ويختم بقوله:(فما أنكرت من انشقاق القمر اذ كان في ناحية أن لا يراه الا أهـل تلك الناحية ، ومن تأهب للنظر له ، فأما من أعرض عنه ، أو كان

---

(١) الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) حكم من سنة ٣٦٥ هـ الى ٤١٦ هـ وهو ملك الروم بالقسطنطينية .

في الأمكنة التي لا يرى القمر منها فلا يراه)[1] .

وهذا أسلوب يستخدم مع الكافرين بنبوة محمد ﷺ الذين لا يؤمنون بحديثه ، والا فقد ثبت حديث انشقاق القمر عن ابن مسعود وابن عمر وأنس وابن عباس .

جاء عن ابن مسعود قوله : (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقين فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا)[2] .

وقد أورد محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على ترجمة باب انشقاق القمر بصحيح مسلم ما قاله القاضي عياض في هذا الموضوع وجاء فيه (انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ وقد رواها عدة من الصحابة (رض) مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها ، قال الزجّاج : وقد أنكرها بعض المبتدعة مخالفي الملة وذلك لما أعمى الله قلبه ، ولا انكار للعقل فيها ، لأن القمر مخلوق لله تعالى ، يفعل فيه ما يشاء ، كما يفنيه ويكوّره في آخر الأمر)[3] .

وبلغت ببعض المعتزلة مناوأتهم للاسلام وللرسول ﷺ أن أنكروا إعجاز القرآن فقال النظّام : ان نظم القرآن وحسن

---

(١) اعجاز القرآن للباقلاني – مقدمة سيد صقر ص ٣٠ .
(٢) مسلم ٤/٢١٥٨ وقد خرج الحديث البخاري والترمذي في مسنده .
(٣) مسلم ٤/٢١٥٨ هامش رقم ٣ .

تأليف كلماته ليس معجزة النبي ﷺ ولا دلالة فيه على صدقه في دعواه النبوة ذلك أن القرآن كتاب كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام ، ووجه الدلالة في هذا الكتاب على صدق الرسول ﷺ انما هو ما فيه من الأخبار عن الغيوب .

فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فان العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف ولم يعارضه العرب لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به وهو ما عرف عندهم بالصرفة(١) .

وقال عيسى بن صبيح الملقب بالمردار (ت ٢٢٦ هـ) ان الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة (٢) .

ونفى هشام الفوطي وعباد بن سليمان أن يكون شيء من الأعراض دالاً على الله سبحانه أو على نبوة الرسول ﷺ ولما كانا يزعمان أن القرآن اعراض فهو ليس علماً للنبي ﷺ (٣) .

وذهب ابن الرَّاوَنْدِي الزنديق في كتابه (الدامغ) الى الطعن في نظم القرآن ومعانيه ، وارتطم في إثم القول ؛ ان

---

(١) فضل الاعتزال ٧٠ – الفرق بين الفرق ١٤٣ – ملل الشهرستاني ٥٦/١ – مسلم ٥٧ ، اعجاز القرآن مقدمة صقر ٨٠٧ .

(٢) ملل الشهرستاني ٥٤/١ .

(٣) مقالات الإسلاميين ٢٩٦/١ .

في القرآن سفهاً وكذباً [1] الا أن هذه الآراء الغريبة كان قد تناولها العديد من رجال الاعتزال بالطعن والتجريح والرد عليها :

فتولى أبو الحسين الخياط وأبو علي الجبائي الرد على ابن الراوندي فَنَقَضَا ما تورط فيه من الانحرافات في كتابه «الدامغ» وتولى الجاحظ في كتابه « نظم القرآن » الرد على النظام في قوله بالصرفة [2] .

ومما رد به أبو سليمان الخطابي في كتابه اعجاز القرآن على دعوى الصرفة اذ دلالة الآية تشهد بخلافه ، وهي قوله سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا[3] فأشار القرآن الى أمر طريقه التكلف والاجتهاد وسبيله التأهب والاحتشاد والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة فدل على أن المراد غيرها) [4] .

هـ – موقفهم من حد شارب الخمر والنبيذ :

لقد تمسك بعض المعتزلة بالرأي الشاذ حول حد الخمر القائل :

---

(١) و (٢) اعجاز القرآن للباقلاني المقدمة صقر ص ٨ .

(٣) سورة الاسراء ٨٨ .

(٤) اعجاز القرآن مقدمة صقر ١٣ .

ان الرسول لم يفرض في الخمر حداً ، وأنه وبعض الصحابة انما ضربوا بالجريد والنعال والأردية وعزف هؤلاء المعتزلة عما أجمع عليه الصحابة من وجوب الحد في الخمر [(١)] بل وهاجموا الحد ، من ذلك أن جعفر بن مبشر زعم (أن اجماع الصحابة على حد شارب الخمر كان خطأ ، اذ المعتبر في الحدود : النص والتوقيف)[(٢)] .

والملاحظ أن النص والتوقيف متوفران ، فالاتفاق كامل بين الصحابة والعلماء على أن الرسول ﷺ جلد من شرب الخمر ولكن ثمة اختلاف حول عدد الجلدات[(٣)] .

وقد أطنب الفقهاء والمحدثون في الحديث عن الموضوع وسرد كل الآراء مهما كانت متضاربة ومتطرفة ، وقد أورد ابن حجر خلاصة حول الموضوع قال فيها : وقد استقر الاجماع على ثبوت حد الخمر وان لا قتل فيه ، واستمر الاختلاف في الاربعين والثمانين [(٤)] .

والملاحظ أن حد النبيذ بدوره ثمانون جلدة[(٥)] أي أنه مساو

---

(١) نيل الاوطار ١٦٩/٧ .
(٢) ملل الشهرستاني ٥٩/١ – الفرق بين الفرق ١٦٨ .
(٣) فتح الباري ١٦١/٧ .
(٤) فتح الباري ٨٠/١٥ .
(٥) فتح الباري ٧٥/١٥ .

لحد الخمر فقد قرر الفقهاء وجوب جلد من شرب خمراً أو نبيذاً مسكراً ثمانين سكر أو لم يسكر[1] .

وخالف عمرو بن عبيد فنسب الى الحسن البصري أنه قال: ان السكران من النبيذ لا يجلد وقد أكذبه أيوب السختياني وقال : أنا سمعت الحسن يقول : يجلد [2] .

و – موقفهم من حد السارق :

ومن المواطن التي خالف فيها العديد من المعتزلة سنة الرسول ﷺ موقفهم من حد السرقة . فقد جعل القرآن الكريم قطع اليد جزاء وفاقاً للسرقة فقال جل من قائل : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله) [3] .

ثم جاءت السنة وحددت قيمة المسروق الذي يوجب القطع وبينت حاله كما بينت ما ينبغي القطع فيه، ومن أين يقع القطع.

جاء عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم [4] وفي حديث عائشة أن النبي ﷺ قال : تقطع اليد في

---

(١) رسالة أبي زيد القيرواني ٤٤٠ .

(٢) مقدمة مسلم ١/٢٣ – ميزان الاعتدال ٣/٢٧٦ .

(٣) سورة المائدة ٣٨ .

(٤) الموطأ ٥١٩ .

ربع دينار فصاعداً [1] على أن يكون المسروق حرزاً والسارق مستغنياً عن السرقة .

كما سن الرسول أن لا قطع في ثمـــر ولا كثر[2] ، وبين أن القطع انما يكون في اليد اليمنى ومن الرسغ .

وخـــالف الكثير من المعتزلة سنة الرسول ﷺ فهذا أبو الهذيل العلاف والجبائي يفسقان سارق الدرهم من حرز[3] .

أما جعفر بن مبشر فيزعم أن من سرق حبة أو مـا دونها فهو فاسق منخلع من الايمان مخلد في النار [4] .

ويذهب النظام الى أن من غصب أو سرق مائـــة وتسعة وتسعين درهماً لم يفسق بذلك حتى يكون مـا سرقه أو غصبه وخان فيه مائتي درهم فصاعداً [5] .

وبذلك هدموا الشرع وتحللوا من الأحكام وحكّموا أهواءهم

---

(١) البخاري – فتح الباري ١٥/١٠٧ .
(٢) الرسالة ٤١ – الموطأ ٥٢٤ ، أنظر التخريج هناك .
(٣) مقالات الاسلاميين ٣٣٣/١ – ٣٣٤ .
(٤) الفرق بين الفرق ١٦٨ – ملل الشهرستاني ٥٩/١ .
(٥) الفرق بين الفرق ١٤٤ – مقالات الإسلاميين ٣٣٤/١ – الملـــل ٥٨/١ .

فيما يأتون وما يدعون .

ز – تخليدهم صاحب الكبيرة في النار :

كنا رأينا أثناء حديثنا عن أصل المعتزلة الرابع الوعد والوعيد كيف قرروا أن مرتكب الكبيرة هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا ومخلد في النار يوم القيامة ما لم يتب ، ورأينا كيف أن مبدأهم ذلك مبني على ايمانهم بعدل الله ، هذا العدل الذي جعلهم غلوهم في تصوره ينفون معه الشفاعة لأنها في رأيهم تعطل تنفيذ وعده ووعيده ولا مبدل لكلماته تعالى :

على أننا قبل الخوض معهم في آرائهم هذه المنافية للسنة الصحيحة يحسن بنا أن نرى تعريفهم للكبائر والصغائر .

فقد (قال قائلون منهم : كل ما أتى فيه الوعيد فهو كبير وكل ما لم يأت فيه الوعيد فهو صغير [1]) . وذهب جعفر بن مبشر الى أبعد من ذلك فقد جعل ارتكاب أي لون من ألوان الذنوب والمعاصي كبيرة شريطة أن يكون مرتكبها متعمداً [2].

وقد غلت بعض فرق المعتزلة في الحكم على مرتكبي الذنوب،

---

(١) و (٢) مقالات الاسلاميين ١/٣٣٢ .

حتى أنها لم تميز بين الصغير من الذنوب والكبير . فالواصلية مثلاً (تزعم أن كل مرتكب للذنب صغير أو كبير مشرك بالله)[1] ، ولعل هذا الحكم القاسي يعود الى تسوية القدرية عموماً (بين الشرك ومـــا دونه من الكبائر في أن كلا من النوعين لا يغفر بدون التوبة ، ولا يشاء الله أن يغفرهما إلا للتائبين)[2] .

لِأَنَّ واصلاً يسمي هـذا المذنب موحداً وليس بمشرك ولا كافر[3] .

وبلغ الغلوّ بالجبائي درجة وصف معهـــا الكثير من أرض الاسلام والمسلمـين بالكفر ، وكيف لا يكونون كذلك ، وهم القائلون إنّ القرآن غير مخلوق ، وأن الله سبحانه أراد المعاصي وخلقها لأن هـذا كله عنده كفر ، فبغداد ومصر وغيرهما على قياسه – دار كفر[4] .

ثم ان هذه الذنوب والمعاصي عندهم لن يغفرها الله إلا بالتوبة ، وإقامة الحد على المقترف للذنب لا يفيده[5] مستدلين على ذلك

---

(١) الفرق بين الفرق ١١٧ .
(٢) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ١/٥٣٢ .
(٣) الفرق بين الفرق ١١٩ .
(٤) مقالات الإسلاميين ٢/١٥٥ .
(٥) فتح الباري ١/٧٥ .

بقوله تعالى (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)[1] .

وحين يُجَابَهُون بقول الله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [2] وهو صريح في أن الله يغفر لمن يشاء من المذنبين والعصاة يَلْجَؤُوْنَ الى التأويل وان كان متعسفاً .

يقول الزمخشري لتطويع هـــذه الآية لمذهبهم (الوجه أن يكون الفعل المنفي لا « يغفر » والمثبت « يغفر » جميعاً موجهين الى قوله تعالى : لمن يشاء كأنه قيــل : أن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني من تاب .

ونظيره قولك : ان الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله) [3] .

---

(١) سورة المائدة ٣٤ .

(٢) سورة النساء ٤٨ .

(٣) الزمخشري ١/٥٣٢ .

فقد سوّى بين المسلم والمشرك في وجوب التوبة مطوعاً الآية لخدمة هـذه التسوية (فردته ونبت عنه) [١] كما يقول صاحب كتاب الانصاف . لأن (الشرك غير مغفور البتة وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفره له ، هذا مع عدم التوبة وأما مع التوبة فكلاهما مغفور) [٢] . وهذه هي عقيدة أهل السنة و (الآية انما وردت فيمن لم يتب ولم يذكر فيها توبة كما سنرى فلذلك أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك وأثبت مغفرة ما دونه مقرونة بمشيئة الله ، فهذا وجه انطباق الآية على عقيدة أهل السنة) [٣] .

ثم أن المعتزلة بعد أن قَرَّرُوا أن الله لا يغفر لمن خرج من الدنيا على معصية بدون توبة لأن ذلـــك يتنافى مع عدله وبالتالي مع وعده ووعيده ، بل ومع نظريتهم في الصلاح والأصلح، وضعوا صاحب الكبيرة في المنزلة بين المنزلتين في الحياة الدنيا وأنزلوه جهنم في الآخرة خالداً فيها غـــير أن عذابه أخف من عذاب الكافر [٤] .

وهو حكم يزعم جعفر بن مبشر أنه من موجـــات العقول

(١) و (٢) و(٣) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ١/٥٣٢ .
(٤) الملل والنحل ١/٤٥ ، ٤٨ ، ٧٠ ، ٨١ .

مخالفاً (أسلافه الذين قالوا : ان ذلك معلوم بالشرع دون العقل)[1] .

ذلك أن أهل النار اذا دخلوها لم يصح خروجهم منها لأن في خروجهم ثواباً ، فيصبح الواحد منهم من أهل الثواب ، ومن أهل العقاب معاً وهذا كالمتضاد[2] .

والمعتزلة أدلتهم فيما ذهبوا اليه من تأبيد العقاب في النار من ذلك :

أ - قول الرسول ﷺ : (من قتل نفسه بحديدة ،فحديدته في يده يجأ بها نفسه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)[3] .

وقد أجيب عنه بستة أجوبة منها :

١ - أن محمد بن عجلان رواه عن سعيد المقبري عن أبي هريرة فلم يذكر خالداً مخلداً ...

٢ - أن الخلود انما يصدق على من استحله ، فانه يصير باستحلاله كافراً . والكافر مخلد بلا ريب .

---

(١) الفرق بين الفرق ١٦٨ .

(٢) فضل الاعتزال ٢٠٩ .

(٣) فضل الاعتزال ١٥٤ والحديث خرج نحوه : البخاري - الفتح ٣/ ٤٦٩ - ١٤/ ٢٤٥ ومسلم والترمذي والنسائي والدارمي .

٣ — ورد التخليد مورد الزجر والتغليظ وحقيقته غير مراده [١] ...

ب — ويستدلون أيضاً بقوله ﷺ (إياكم والزنا فان فيه سوء الحساب وسخط الرحمن وخلود النار[٢] وقوله ﷺ (من انتسب الى غير أبيه فالجنة عليه حرام) وقوله ﷺ (من اقتطع مال امرىء مسلم حرم الله عليه الجنة وأدخله النار) .

جـ — ومما يروونه عن خلود أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة قوله ﷺ :

إذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار نادى مناد بينهما : (يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت) [٣] .

ويقول القاضي عبد الجبار كما ثبت خلود أهل الكفر في النار ثبت أيضاً تخليد قاتل النفس والفارّ من الزحف وآكل مال اليتيم وغير ذلك [٤] .. وبما أن الله صاحب أعظم نعمة على الانسان فان من عصاه ينبغي أن يعظم عقابه بعظم معصيته (وذلك يبين

---

(١) فتح الباري ٣/٤٧٠ .
(٢) فضل الاعتزال ١٥٥ .
(٣) فضل الاعتزال ١٥٥ — والحديث خرجه البخاري ١٧ / ٢٠٧ — ١٧/٢٠٩ .
(٤) فضل الاعتزال ٢٠٩ .

حسن العقاب الدائم) [١] .

ونجد من المعتزلة من يتخلى عن الخلود كالعلاف ويقول بفناء نعيم أهل الجنة وفناء عذاب أهـــل النار [٢] مما جعل عدداً من زعماء المعتزلة يردون عنه ويوبخونه كالجبائي وأبي موسى (عيسى ابن صبيح المعروف بالمردار) . وقد ألف كُلٌّ منهما كتاباً ذكر فيه فضائح أبي الهذيل ، ولجعفر بن حرب أحد زعماء المعتزلة كتاب سماه توبيخ أبي الهذيل [٣] .

وقد تصدى أهـل الحديث للرد عن ضلالات المعتزلة مستندين الى ما صح في السنة النبوية من الآثار ، وقـــد أجمعوا على أن المعاصي ليست موجبة للخلود ، فقد جــاء عن (أبي سعيد أن النبي ﷺ قال : يدخل أهـــل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيــا أو الحياة شك مالـك، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية) [٤] وقد عقب ابن حجر على هذا الحديث بقوله : (وأراد البخاري بإيراده ، الرد على المرجئة لما

---

(١) فضل الاعتزال ٢١٠ .
(٢) تأويل مختلف الحديث ٤٤ ــ الفرق بين الفرق ١٢٢ .
(٣) الفرق بين الفرق ١٢٢ .
(٤) البخاري كتاب الايمان باب تفاضل أهل الايمان الفتح ١/٧٩ .

فيه من بيان ضرر المعاصي مع الايمـــان ، وعلى المعتزلة في أن المعاصي موجبة للخلود) [1] فلا يلزم من اطـلاق دخول النار التخليد فيها [2] .

واذا اعتبرت إقامة الحد كفارة لصاحبها ومجزية عن اعلان التوبة ، فان غفران ذنب من لم يقم عليه حـد ولم يتب يبقى رهن ارادة الله وذلك مصداقاً لقوله ﷺ في عصابة من صحابته (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتـــان تفترونه بين أيديـــكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فموقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه فبايعناه على ذلك)[3] .

وان المعتزلة القدرية بتشددهم في تخليد مرتكب الذنب في النار ما لم يتب ينطبق عليهم المثل السائر (السيد يعطي والعبد يمنع) لأن الله تعالى يصرح كرمه بالمغفرة للمصرّ على الكبائر ان شاء ، وهم يدفعون في وجه هذا التصريح ويحيلون المغفرة بناء

---

(١) فتح الباري ١/٨٠ .
(٢) فتح الباري ١٤/٢٩١ .
(٣) صحيح البخاري كتاب الايمان باب حدثنا أبو اليان .. الفتح ١/٧١ .

على قاعدة الأصلح والصلاح التي هي بالفساد أجدر وأحق [١] .

حـ - انكارهم لعذاب القبر :

وممـــا أثبتته السنة وأنكره المعتزلة عذاب القبر . يقول الأشعري : انهم والخوارج نفوا عذاب القبر [٢] .

ولئن جعل القاضي عبد الجبار المعتزلة ينقسمون الى منكر لعذاب القبر ومثبت له فانه يقول ان الذي نفاه انما هو ضرار بن عمرو «وهو من أصحاب واصل بن عطاء» ويورد حجة المنكرين فيقول : ان الميت لما يدفن (لا يسمع ولا يبصر ولا يدرك ولا يلتذ فكيف يجوز عليه المسألة والمعاقبة مع الموت)؟ ويضيف : (وأنكر مشايخنا عذاب القبر في كل حال)[٣] .

وهذا مخالف صراحة لما ثبت عن رسول الله ﷺ ، وقــد عقد البخاري باباً في كتاب الجنائز ترجم له بقوله : (باب ما جاء في عذاب القبر)[٤] وقد أورد فيه عدداً من الأحـــاديث منها :

- حديث أنس بن مالك (رض) أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) الانصاف الكشاف ٥٣٣/١ .

(٢) مقالات الإسلاميين ١١٦/٢ .

(٣) فضل الاعتزال ٢٠٢ .

(٤) أنظر فتح الباري ٤٧٣/٣ .

ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وانه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ الحديث [1] .

كما أن كلا من أبي داود والنسائي والترمذي عقدوا أبوابــاً ترجموا لها بنحو ما ترجم له البخاري وأوردوا فيها أحاديث كثيرة تثبت كلها عذاب القبر .

(١) أنظر فتح الباري ٣/٤٨٠ - والحديث خرجه مسلم ٤/٢٢٠٠ - ٢٢٠١ - الترمذي ٣/٣٧٤ .



مِن مَبَاحِث المُعتزلة
المُجافية للعقل وَالمخالِفة لِلسُّنّة

حين يذكر اسم المعتزلة يتبادر الى الذهن أنهم القوم الذين يمجدون العقل وبالتالي يربأون به وبأنفسهم عن الخوض في مسائل لا تمتّ الى العقل بصلة إلا أن تاريخ المعتزلة يثبت خلاف ذلك حيث تناول بعضهم بحث مسائل يجوز وصفها بأنها تافهة : من ذلك مثلاً :

١ — بحثهم في مصير اليد المقطوعة لرجل مؤمن كفر بعد القطع أو لرجل كافر آمن بعد القطع [1] ؟

٢ — وبحثهم في عوض البهائم وقد انقسموا الى خمسة أقوال ، منها :

أ — قول قوم : ان الله سبحانه يعوضها في المعاد وانها تنعم في الجنة وتصور في أحسن الصور فيكون نعيمها لا انقطاع له .

ب — وقال جعفر بن حرب وَالْإِسْكَافِي: قد يجوز أن تكون

---

(١) مقالات الإسلاميين ٣١٧/١ .

الحيات والعقارب وما أشبهها من الهوام والسباع تعوض في الدنيا أو في الموقف ثم تدخل جهنم فتكون عذاباً على الكافرين ولا ينالها من ألم جهنم شيء كما لا ينال خزنة جهنم .

٣ — كما نظروا في عقول هذه البهائم هل سَيُكَمِّلُهَا الله أم تبقى على حالها في الدنيا ؟ وبحثوا مسألة اقتصاص الله من بعضها لبعض [١] .

٤ — ونظر الخابطية أصحاب أحمد بن خابط (ت ٢٣٢ هـ) والحدثية (أصحاب الفضل الحدثي (ت ٢٥٧ هـ) في أصناف الحيوانات فَقَرَّرُوا أن كل صنف من الحيوانات أمة على حدة ولها رسول [٢] ؟

٥ — وبحثوا في عقاب الأطفال ؟ : فقال أكثر المعتزلة ان الله سبحانه يؤلمهم عبرة للبالغين ، ثم يعوضهم ، ولولا أنه يعوضهم لكان إيلامه اياهم ظلماً . الا أن اجماعهم يذهب الى أنه لا يجوز أن يؤلم الله سبحانه الأطفال في الآخرة ولا يجوز أن يعذبهم [٣].

٦ — ولعل من أغرب المسائل التي أدلى فيها بعض فرق المعتزلة وهم الخابطية والحدثية برأيهم وكان رأيهم واضح

---

(١) مقالات الاسلاميين ٣١٩/١ — ٣٢٠ .

(٢) ملل الشهرستاني ٦٣/١ .

(٣) مقالات الإسلاميين ٣١٩/١ .

الانحراف وهو اثباتهم الألوهية للمسيح[1] هذا المعتقد الذي حرك جمهور المعتزلة لنفي صفات الله وجعلوا كلامه تعالى مخلوقاً حادثاً كي يقطعوا الطريق أمام المسيحيين الذين آمنوا بالأقانيم الثلاثة واتخذوا من قوله تعالى أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم[2] حجة يعضدون بها مذهبهم المنافي للتوحيد.

وكما رد القرآن للمسيح وأمه اعتبارهما أكدت السنة ما جاء به القرآن وجعلت قول من قال (ان الله اتخذ ولداً) ، من الكبائر . جاء في الحديث القدسي : (... وشتمني ابن آدم ، ولم يكن ينبغي أن يشتمني ... وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولداً ، وأنا الله الأحد الصمد ، لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفؤاً أحد)[3] .

٧ – ونظرهم في الصلاح والأصلح جعل النظام يحد من قدرة الله حيث قال : ان الله لا يقدر أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة ولا أن ينقص من نعيم أهل الجنة شيئاً[4] وهو رأي يتنافى

---

(١) ملل الشهرستاني ١/٦٠ .

(٢) سورة آل عمران ٤٥ ، وقوله تعالى : (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته) سورة النساء ١٧١ .

(٣) النسائي كتاب الجنائز ٤/٩١ .

(٤) الفرق بين الفرق ١٣٣ – ملل الشهرستاني ١/٥٤ .

مع أبسط قواعد العقل والشرع التي أثبتت لله تعالى القدرة المطلقة .

أما عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى الملقب بالمردار (ت ٢٢٦ هـ) فينزل بالله الى مستوى الكذب والظلم قياساً على حياة البشر فيجعله قادراً على ذلك ، وان فعل كان إلهاً كاذباً ظالماً (١) .

في حين ينفي أبو الهذيل العلاف عن الله القدرة على رؤية بعض الأجزاء التي لا تتجزأ (٢) .

وقرر بعض المعتزلة أنه لا يجوز اطلاق اسم شيء على الشيء حتى يوجد ويخلق، فهذا هشام بن عمرو الفوطي يرى أن (الأشياء قبل كونها معدومة ، والمعدوم ليس بشيء) وعليه لا يجوز عنده أن تكون هذه المعدومات معلومة لله تعالى (٣) .

وفي الحقيقة فان علم الله وسع كل شيء ما خلق وما سيخلق، فقد جاء في صحيح البخاري قول الرسول ﷺ : (ان أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربعة : برزقه وأجله

---

(١) ملل الشهرستاني ٦٩/١

(٢) الفرق بين الفرق ١٣٠ .

(٣) فضل الاعتزال ٧٢ .

وشقي أو سعيد) [1] ففي هـذا الحديث كما يقول شارحه ابن حجر : (ان الله يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات لتصريح الخبر بأنه يأمر بكتابة أحوال الشخص مفصلة) [2] .

٨ـ منعهم الحكم بالرأي في الفتيا : ولعل من العجيب أن نرى بعض المعتزلة [3] ، وهم ممن رفعوا لواء العقـل أن يحرموا الحكم بالرأي في الفتيا كما قالت النظامية وقـد سبق أن بينا مخالفة هذا الاتجاه للسنة مستدلين باجتهادات للرسول ﷺ .

من أسباب اضمحلالهم :

الأسباب التي أودت بالمعتزلة كثيرة ومتنوعة ومنها ما يعود الى طبيعة مذهبهم وطريقة تطبيقهم ونشرهم لنحلتهم ، ومنها ما يعود الى تعقب أهل السنة لهم بدحض شبههم وانحرافاتهم .

١ ـ بعدهم عن تطبيق معتقدهم في الايمان :

لئن نادى المعتزلة بالعمـل وجعلوه شرط صحة في ثبوت الايمان ، وغلوا في الوعيد فان العديد من أعلامهم كانوا أول من مال على هذا الركن الأساسي في عقيدتهم بالهدم والاهمـال . بل

---

(١) البخاري كتاب القدر ، الفتح ١٤/٢٧٧ ـ ٢٨٢ .

(٢) فتح الباري ١٤/٢٩١ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٤٩ .

تجاوزوا هذا، إلى الهزء من بعض الشعائر وبلغ بهم الأمر إلى تناول الرسول ﷺ بما لا يليق بمقامه السامي . مما لا يدع مجالاً للشك في أنهم انما يصدرون في آرائهم عن عقائد وتراث أجنبي لا يتفق وشريعة الاسلام .

فهذا النظام وهو أحد زعماء المعتزلة البارزين يعد من أفسق خلق الله وَأَجْرَئِهِمْ على الذنوب العظام وعلى إدمان شرب المسكر حتى أن ابن قتيبة ينسب اليه قوله : ما زلت آخذ روح الزق في لطف : وأستبيح دماً من غير مجروح .

حتى انثنيت ولي روحان في جسدي : والزق مطرح جسم بلا روح [1] وأبو هاشم بن أبي علي الجبائي كان من ناحية يفرط في الوعيد حتى أنه لم يقبل توبة المقلع عن الذنب بعد العجز عن اقترافه ، ومن ناحية أخرى كان أفسق أهل زمانه، وكان مصراً على شرب الخمر حتى قيل انه مات في سكره [2] .

ومما يؤثر عنه أنه يرى أن (الطهارة غير واجبة) [3] معللاً مذهبه هـذا بقوله : (ان غيره لو طهره مع كونه صحيحاً أجزأه) ، وهي محاولة مكشوفة لإفساد الشريعة وافراغها

---

(١) تأويل مختلف الحديث ١٨ .

(٢) الفرق بين الفرق ١٩١ .

(٣) المصدر السابق ١٩٧ .

من محتواها وهي مخالفة صريحة لقول الرسول ﷺ : (لا تقبل صلاة بلا طهور ولا صدقة من غلول) .

ومما رواه الجاحظ في كتاب المضاحك أن المأمون رأى يوماً ثمامة بن أشرس وهو من زعمـاء المعتزلة (سكران قد وقع في الطين) فقال له : ثمامة ؟

قال : أي والله . قال : ألا تستحي ؟ قال : لا والله .

قال : عليك لعنة الله . قال (تترى ثم تترى) [1] .

وكان ثمامة متهاوناً في أداء الفروض آية ذلك أن خادمه قال له يوماً : قم صل فتغافل ، فقال له : قد ضاق الوقت فقم وصل واسترح ، فقال أنا مستريح إن تركتني [2] .

قد يقولى قائل : انها الروح المرحة التي يتميز بها المعتزلة . فيقال : قد يكون ذلك ، ولكنها تمكس حقيقة مواقفهم من الايمان وتطبيقاته وقد بلغ الأمر بثمامة الى التهوين من شأن بعض الشعائر ، والسخرية من المسلمين وتنقص شان الرسول ﷺ فقد (رأى قوماً يتعادون يوم الجمعة الى المسجد لخوفهم فوت الصلاة فقال : انظروا الى البقر انظروا الى الحمير) .

---

(١) الفرق بين الفرق ١٧٣ .

(٢) المصدر السابق ١٧٤ .

ثم قال لرجل من اخوانه : ما صنع هذا العربي بالناس؟[1].

ومثل هذه العبارات التي تنضح مروقاً كثيراً ما تطالعنا ونحن نتصفح تاريخ المعتزلة ورجالهم : فهذا عمرو بن عبيد الذي طار بلب أبي جعفر المنصور وكان يعده من أزهد الناس في زينة الحياة الدنيا حتى حزن لوفاته . ورثاه يقول : (لو كانت تبّت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ لم يكن لله على العباد حجة) تساوقا مع ايمانه بنفي القدر أي نفي العلم الأزلي لله بما هو كائن .

وكنا قد رأينا ألواناً من هذا العناد والكفر أثناء حديثنا عن موقفهم من الحديث الشريف .

وكثيراً ما يوصف أعلامهم بالفسق والفجور ، فهذا أبو الفتح الأزدي يصف واصلا بن عطاء بأنه (رجل سوء كافر) [2] ووصف البغدادي بعض الفرق بأكملها بالغلو في الكفر كالخابطية والجارية [3] .

٢ ــ كثرة اختلافاتهم :

ولعل مما عجل بانقراضهم كثرة اختلافاتهم ، وهذا يرجع

---

(١) تأويل مختلف الحديث ٤٩ .
(٢) ميزان الاعتدال ٤/٣٢٩ .
(٣) الفرق بين الفرق ١١٤ .

الى تنوع مصادرهم وتضاربها والى تعويلهم على العقل الذي قدموه على القرآن والسنة وجعلوا منه رائدهم وامامهم ، وقد ثبت في محك الواقع أن العقول والأفهام كثيراً ما تختلف بل فان العقل الواحد كثيراً ما يحبذ اليوم أمراً يكفر به غداً ويلعنه ، والخطير في اختلافاتهم أنها شملت قضايا العقيدة نفسها .

يقول ابن قتيبة في معرض تصوير مـــا اعترى القوم من الانقسامات رغم صدورهم عن الرأي والنظر (وقد كان يجب مع مـــا يدعونه من معرفة القياس واعداد آلات النظر أن لا يختلفـوا كما لا يختلف الحساب والمساح والمهندسون لأن آلَتَهُمْ لا تدل الا على عدد والا على شكل واحــد ، وكما لا يختلف حذاق الأطباء في المـاء وفي نبض العروق ... فما بالهم أكثر أهل الناس اختلافاً لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين .

(فأبو الهذيل العلاف يخالف النظام والنجار يخالفهما وهشام ابن الحكم يخالفهم وكذلك ثمامة ومويس وهاشم الأوقص و... ليس منهم واحد الا وله مذهب في الدين ، يُدان برأيه وله عليه تبع) [1] .

وقلما تمر بهم مسألة ولا تختلف حولها أنظارهم ، حتى أن عبارة (اختلفت المعتزلة) تكاد تتصدر كل المسائل التي تناولها

---

(١) تأويل مختلف الحديث ١٤ – ١٥ مقالات الاسلاميين ٢/٢٣٢ .

المعتزلة بالبحث .

وقد يبلغ الاختلاف والتنافر بينهم الى درجة يكفر فيها بعضهم بعضاً وأكثر زعمائهم يكفرون أتباعهم المقلدين لهم [1] .

وليس حتماً أن يكون هذا التناقض والاختلاف بين الفرق والأفراد وانما قد يصيب التناقض الفرد الواحد منهم فيرى الرأي ثم يتراجع ويتوب عنه لما يبدو له من سقمه وعقمه ، فهذا أبو سهل بشر بن المعتمر مثلاً آمن بآراء فيها مروق عن الدين وخروج عن صحابته (ثم تاب ورجع الى أصحابه) [2] .

وقد صورت انقسامهم واختلافاتهم الشديدة مؤلفاتهم التي انبرى فيها كل طرف يسفه الثاني ويكشف عواره .

فقد ألف بشر بن المعتمر كتاباً في الرد على ضرار بن عمرو المعتزلي سماه « الرد على ضرار »[3] .

ثم ان بشراً هذا يكفره تلميذه المردار (عيسى بن صبيح) الملقب براهب المعتزلة بل ويكفر معه أبا الهذيل العلاف والنظام وعدداً من شيوخه وقد بادله هؤلاء تكفيراً بتكفير [4] .

---

(١) الفرق بين الفرق ١٩٧ .
(٢) فضل الاعتزال ٧٢ .
(٣) مقالات الاسلاميين١/٢٤٦ هامش رقم ٢، ١/٣٣٩ هامش رقم١ .
(٤) الفرق بين الفرق ١٦٦ .

ولعبّاد بن سليمان الضمري، وهو من أصحاب هشام الفوطي كتاب يسمى الأبواب نقضه أبو هاشم الجبائي ، وقال عنه أبو الحسين الملطي (ملأ الأرض كتباً وخلافاً وخرج عن حد الاعتزال الى الكفر والزندقة) [1] .

وكتب ابن الراوندي (ت ٢٩٨ هـ) الذي نكص عن الاعتزال بعد أن كان من متكلمي المعتزلة وانغمس في الالحاد والزندقة كتاباً سماه « فضيحة المعتزلة » نقضه أبو الحسين بن الخياط (ت ٣٠٠ هـ) بكتاب سماه الانتصار [2] .

هذا فضلاً عما ألفه أهل الجماعة في بيان زيغ المعتزلة جميعهم وفساد نحلتهم .

٣ – آراؤهم المنافية للاسلام :

ان تأثر عدد من رجال الاعتزال بالآراء والمذاهب الفلسفية والدينية القديمة جعلهم يصدعون بآراء تتجافى وعقيدة الاسلام الْبَسِيطَة الواضحة، فقد نفوا القدر فسموا القدرية ، ونفوا صفات الله فسموا النفاة ، قالوا بخلق القرآن ونفوا رؤية الباري

---

(١) الفرق بين الفرق ١٦١ هامش رقم ١ .

(٢) مقالات الإسلاميين ١/٢٤٠ هامش رقم٢ – الفرق بين الفرق١٢٣ هامش رقم ١ .

يوم القيامة ، بل شك بعضهم في المحسوسات [1] كلها على غرار مـــا كان ينادي به (بيرون) والفلاسفة الشكاك اليونان ... ونادى آخرون بمـا كان يعتقده المجوس من علو النـار بطباعها على كل شيء [2] ... وآمن بعضهم بالطفرة وهي انتقال الجسم من مكان رقم ١ الى مكان رقم ٣ أو رقـم ١٠ من غـير مرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر [3] .

وتأثرهم بالفلسفة والمذاهب الملحدة جعلهم يقدمون العقل على الشرع رغم ما أنكره بعضهم من اجتهاد الرأي في الأحكام .

وأحدثت مواقفهم هذه أزمة حادة بينهم وبين مصـــادر الشريعة الاسلامية خاصة الحديث حيث حكموا الهوى فردوا ما يتعارض وآراءهم من الأحاديث ، وهو أمر لا يجوز أن يمر دون موقف صارم يقفه رجال الاسلام المتمسكون بالقرآن والسنة بعيداً عن كل تأثير أجنبي .

والذي زاد الطين بلة هو استخـــدام المعتزلة للعنف لفرض آرائهم ، فقد استغل بعض المعتزلة ممن وصل الى قلوب بعض الخلفاء العباسيين كالقاضي أحمد بن أبي دؤاد الذي عاصر ثلاثة

---

(١) الفرق بين الفرق ١٣٥ .
(٢) المصدر السابق ١٣٧ .
(٣) المصدر السابق ١٤٠ .

منهم هم المأمون والمعتصم والواثق ، وكان له في قلب كل منهم مكان وسلطان ، حتى أن المأمون كان قد أوصى أخاه المعتصم بملازمة ابن أبي دؤاد فقد استغل نفوذه لديهم حتى أنه حمل الواثق على أن يرسل الى القضاة في سائر البلاد ليمتحنوا الناس في القرآن . وأمرهم ألا يقبلوا شهادة من لم يقبل بالتوحيد[1] .

ولم يتورعوا عن اغتيال المخالفين لهم في الرأي ، فقد كان (عبّاد بن سليمان يرى قتل الغيلة في مخالفيه اذا لم يخف شيئاً)[2] ، كما كانوا يرون الثورة والاستيلاء على الحكم بالقوة لفرض آرائهم ، فهم يقولون : (اذا كنا جماعة ، وكان الغالب عندنا أنا نكفي مخالفينا عقدنا للامام ، ونهضنا فقتلنا السلطان وأزلناه ، وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا فان دخلوا في قولنا الذي هو التوحيد وفي قولنا في القدر ، والا قتلناهم)[3] .

وهذا مخالف للشريعة التي تحرم سفك الدماء. يقول الرسول ﷺ : ... فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام [4] .

٤ – مقاومتهم فكرياً : وقد تولى أهل السنة والجماعة

---

(١) انظر أدب المعتزلة ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) و (٣) مقالات الإسلاميين ٢/١٥٧ .

(٤) خرجه البخاري كتاب العلم فتح الباري ١ / ١٦٨ – مسلم ٣ / ١٣٠٦ – الترمذي ٤ / ٤٦١ – ابن ماجه ٢ / ١٠١٥ – الدارمي ١/٣٩٣ .

أيضاً مقاومة المعتزلة فكريـــاً وذلك بتأليف المصنفات التي تكشف ما وقعوا فيه من خروج عن الشرع وعن اجماع المسلمين وإبراز ما وقعوا فيه من تناقض وخطل ، حتى يوقفوا المسلمين على حقيقة أمرهم فيتجنبوهم . وقد جملت الاحقاد بعض أهل السنة يغالي في تبشيع المعتزلة وتكفيرهم ، فهذا ابن قتيبة يؤلف تأويل مختلف الحديث ليرد على الشبه والضلالات التي ارتمى فيها المعتزلة . فهو وان ذكر في مقدمة كتابه (وأرجو أن لا يطلع ذو النهى مني على تعمد لتمويه ، ولا إيثـــار لهوى ولا ظلم لخصم) [1] فانه بلغ حد الإِقْذَاع في تصوير ظلم المعتزلة وضلالهم.

كما أن عبد القاهر البغدادي في كتـــابه الفرق بين الفرق أسرف في تكفير المعتزلة واستباحة دمائهم وأموالهم[2] . وقد ألف الى جانب الفرق بين الفرق كتاباً سمـــاه الحرب على ابن حرب نقض فيه أصول وفصول كتاب جعفر بن حرب الحافل بالضلالات [3] .

ولأبي الحسن الأشعري الذي عاش ردحـــاً طويلاً من عمره معتزلياً حتى بلغ مرتبة الامـــامة فيهم ألف في كشف فضائح

---

(١) تأويل مختلف الحديث ١٣ .

(٢) أدب المعتزلة ١٦١ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٦٩ .

المعتزلة (الابانة في أصول الديانة) لما فتح الله بصيرته وأوقفه على حقيقة أمرهم . كما كتب مقالات الاسلاميين ، وقد تناول فيها أصول المعتزلة بالنقض والطعن وقد مات وهو يلعن المعتزلة لأنه كان شديد الكره لهم والنقمة عليهم[1] .

وألف ابن حزم الفصل والشهرستاني الملل والنحل ، وأبو الفرج بن الجوزي مناقب الامام احمد بن حنبل،وهي مؤلفات تثبت جميعها تمسك أهل السنة بالشريعة الصحيحة الخلية عن الهوى كما تصور زيغ المعتزلة عن السبيل ووقوعهم في المحظور نتيجة تأثرهم بالتيارات الدّخيلة وعدائهم لأصول الشريعة .

وقد أتت جهود التوعية التي قام بها الأئمة الأوائل لتنفير الجماهير المسلمة من المعتزلة وآرائهم أُكْلَهَا حتى صار اسم الاعتزال مرادفاً للابتداع والخروج عن الشرع الذي يوجب الترك والتجنب .

فهذا محمد الباقر ينعي على أخيه زيد بن علي بن الحسين السبط أخذه لمذهب المعتزلة عن واصل بن عطاء[2] .

وحين سئل قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبي حنيفة عن المعتزلة قال : هم الزنادقة .

---

(١) ادب المعتزلة ١٥٨ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣٥٠ .

ورد الشافعي قبول شهادة المعتزلة وأهل الأهواء أسوة بمالك وفقهاء أهل المدينة[1] .

ويصف ابن عبد البر المعتزلة بأنهم أهل البدع ، ويقول عن كتبهم انها كتب أهل الاهواء والبدع[2] .

وحين يذكر القاضي عبد الجبار عند بعض النقاد يصفه بالثقة في حديثه الا أنه يستدرك بقوله (لكنه داع الى البدعة)[3] .

ويصف السيوطي أحدهم بأنه فقيه الا أنه مهجور القول عند الأئمة لميله الى الاعتزال[4] .

وهكذا فقد صار المعتزلة حتى أيام الفحول منهم عنواناً على المروق عن الدين والبعد عن الشريعة ، وقد انعكس هذا حتى على رؤى العلماء والصالحين : فهذا ثابت البناني وعاصم الأحول يريان عمرو بن عبيد في المنام وهو يحك آية من المصحف مدعياً إبدالها بخير منها فلم يستطع[5] .

وفي هذه الرؤيا اشارة الى تحريف المعتزلة لما جاء صريحاً في

---

(١) الفرق بين الفرق ١٧١ .
(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٦ ، ١١٧ .
(٣) فضل الاعتزال ١٢٦ .
(٤) تدريب الراوي ١/٢٧٢ ،
(٥) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٣ .

القرآن كالرؤية وغيرها . وقال حماد (أبو سلمة) : (رأيت كأن الناس يصلون يوم الجمعة الى القبلة وهو مدبر عنها ، فعلمت أنه على بدعة ، فتركت الرواية عنه)[١] .

كما أن اسماعيل بن مسلمة القعنبي رآه في ثلاث ليال متتالية في النار[٢] كما رآه محمد بن عبد الله الأنصاري في النوم قد مسخ قرداً .

---

(١) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٦ .
(٢) ميزان الاعتدال ٣/٢٧٩ .

مِن فضائل المعتزلة

ولئن خرج المعتزلة عن سمت الاسلام وكثرت انحرافاتهم فان لهم العديد من الفضائل تتمثل في مقاومة بعض زعمائهم — من ذوي النفوذ — لعدد من الماجنين تطبيقاً لمبدئهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

فقد نفى واصل بن عطاء بشار بن برد من البصرة الى حران فلم يعد الى البصرة الا بعد وفاة واصل ، وكان قد تهدده بالقتل ، ولكنه أنف من اغتياله مخالفاً من يرى الاغتيال من المعتزلة .

واتهم عمرو بن عبيد (— وهو الذي قال عنه الحسن البصري ... هو خير فتيان أهل البصرة وله فضائل كثيرة لا يجمعها الا كتاب مفرد، ويقال عنه انه حج أربعين سنة ماشياً ، وبعيره يقاد معه يركبه الفقير والمنقطع به ، وكان يحيي الليل كله في ركعة فعل ذلك غير مرة في المسجد الحرام[1]) — اتهم

---

(١) فضل الاعتزال ٦٨.

عبد الكريم بن أبي العوجاء بالزندقة والالحاد وإفساد الشباب ودعاه الى مغادرة البصرة فقد قال له: (بلغني أنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده وتستذله وتدخله في دينك ، فان خرجت من مصرنا والا قمت فيك مقاماً آتي فيه على نفسك)[1] .

ومبدأهم هذا (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) جعل بعضهم يخرج على الامـام الظالم ، من ذلك أن عمرو بن عبيد حض أصحابه على نصرة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي هب لتخليص الخلافة من براثن ابن عمه الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان الذي كان ملحداً مارقاً وله شعر يتغنى فيـه بمروقه[2] حتى أنه رمى المصحف وجعله غرضا ... وقد خرجت عليه الغيلانية وقتلوه [3] .

وخرج بشير الرحال سنة ١٤٥ هـ في جماعة من المعتزلة مع ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقد أظهروا صبراً وجلداً حتى قتلوا بين يديه ثم قتل[4] .

وبذل المعتزلة كل جهد لنشر دعوتهم في الآفـــاق ففرقوا رسلهم الى أمصار المشرق والمغرب للدعوة الى مذهبهم [5] .

---

(١) و (٢) فضل الاعتزال ١١٥/١١٧ .
(٣) فضل الاعتزال ١١٠/١١٧ .
(٤) فضل الاعتزال ٦٦ – ٦٧ .
(٥) أدب المعتزلة ١٥٠ .

وقد شارك أعلامهم في هذه الحملة بجوب البلاد واقامة حلقات الدرس لمناقشة مخالفيهم ومجـادلة الملحدين والمعاندين ورد شبه الخوارج والمرجئة [1] ومقاومة المسيحيين واليهود والمجوس بفرقهم المختلفة التي تمالأت على الاسلام لإيقاف مده واشعاعه الغـلاب ، وقد استخدموا طرائق الفلسفة لإثارة الشبه والشكوك حول الاسلام واستطاع المعتزلة استخدام هذا السلاح نفسه بعد أن أحاطوا بمختلف المذاهب الفلسفية والآراء الدينيـة ، وتزودوا بفنون الجدل والمناظرة ، وبذلــك تمكنوا من إعادة بعض من ضعف ايمانه من المسلمين الى طمأنينة الايمــان ، وإفحام هؤلاء الأعداء الكثر .

كما اتخذوا الكتابة سبيلا الى دعــم منهجهم وتأييد نحلتهم فكانت لهم مصنفات تشهد لهم بالقدرة والعلم وسعة الاطلاع [2] رغم ضآلتها نتيجة مــا أصابها من تحريق واتلاف أثناء حملات تطهير البلاد منهم .

الا أنهم أفسدوا الكثير من علوم الشريعة بتحكمهم واستنادهم الى الهوى .

والذي أتى على مجد المعتزلة وأذهب ريحهم هو تلك الاصابات

---

(١) فضــل الاعتزال ١٦٥ - ميزان الاعتدال ٤ / ٣٢٩ - شذرات الذهب ٣/٢٠٢ - الاعلام ٩/١٢٢ .
(٢) التوبيخ لمن ذم التاريخ ٣٠٠ .

الخطيرة القاتلة التي استهدف لها الكثير منهم نتيجة ارتمائهم في أحضان الآراء الدخيلة الملحدة أو المنحرفة فصدروا عنها في العديد من آرائهم فضلوا السبيل ، وانحرفوا عن السمت فكانوا بحق مبتدعة تعرت آراؤهم من كل دليل شرعي وأنى يكون لهم هذا الدليل وقد اتخذوا من العقل دليلاً يؤولون به من الآيات ما لم تهتد الى ادراكه أفهامهم ويردون به من الأحاديث كل ما لا يتساوق مع جموح هواهم المتعصب لمذهبهم مهما توافرت أدلة صحتها وقبولها .

وبذلك يصدق عليهم مـــا قاله الدكتور مصطفى الصاوي الجويني : (ولئن كانت بدايتهم دفاعاً عن الاسلام من طعنات أعدائه ، فلقد كانت نهايتهم تعصباً مذهبياً لغاية التعصب) [1].

---

(١) مجلة العربي عدد ١٢٢ ص ١٤٣ .

المصادر

القرآن الكريم .

ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ ونسنك ليدن.

١ ـ الاتقان ـ السيوطي ط ٣ ـ مصطفى الحلبي مصر ١٣٧٠ هـ.

٢ ـ أدب المعتزلة ـ د. عبد الحليم بليغ ـ ط ٢ ـ مطبعة الرسالة مصر ١٩٦٩ م .

٣ ـ اعجاز القرآن ـ الباقلاني ـ ط ٣ ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م .

٤ ـ الأعلام ـ الزركلي ـ ط ٣ ـ بيروت .

٥ ـ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ـ السخاوي ـ بغداد ١٣٨٢ هـ .

٦ ـ الالماع ـ عياض ـ ط ١ ـ دار التراث ـ القاهرة المكتبة

العتيقة تونس ١٣٨٩ هـ .
٧ ـ الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ـ مطبوع على هامش الكشاف .
٨ ـ الاهرام (جريدة يومية) صفحة الفكر الديني ١٢ مارس ١٩٧٦ .
٩ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ابن كثير ١٣٧٧ هـ .
ـ البخاري ـ انظر صحيح البخاري أو الجامع الصحيح .
١٠ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية ـ ابو زهرة ـ دار الفكر العربي .
١١ ـ تأويل مختلف الحديث ـ ابن قتيبة ـ دار الجيل ـ بيروت ١٣٩٣ هـ .
١٢ ـ تدريب الراوي ـ السيوطي ـ دار الكتب الحديثية ـ ط ٢ ـ ١٣٨٥ هـ .
١٣ ـ تفسير ابن كثير ـ كتاب الشعب .
١٤ ـ التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقي ـ ط ١ ـ الناشر المكتبة السلفية ٣٨٩ .
ـ التوبيخ لمن ذم التاريخ ـ السخاوي ـ انظر الاعلان بالتوبيخ .

١٥ – التوراة – الكتـــاب المقدس – دار الكتاب المقدس – القاهرة .

١٦ – تيسير علوم الحديث والرد على أعــداء السنة – د. محمد السيد ندا – ط ١ – دار الطباعة المحمدية ١٣٩١هـ .

١٧ – جامع بيان العـــلم وفضله – ابن عبد الكبر – ط ١ – الناشر المكتبة السلفية بالمدينة ٨٨ .

– الجامع الصحيح للبخاري – انظر صحيح البخاري .

– الجامع الصحيح لمسلم – انظر صحيح مسلم .

– جريدة الاهرام – انظر الاهرام .

– الدارمي – انظر سنن الدارمي .

١٨ – دلائـــل النبوة – البيهقي – المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية – القاهرة ١٣٨٩ هـ .

١٩ – رسالة ابن أبي زيد القيرواني – ط ٣ – مطبعة حجازي القاهرة ١٣٧٤ هـ.

٢٠ – الرسالة – الشافعي – ط ١– مصطفى الحلبي ١٣٨٨ هـ .

٢١ – زهر الربى على المجتبى للسيوطي – شرح سنن النسائي – انظر سنن النسائي .

٢٢ – السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي – مصطفى السباعي ط – مكتبة العروبة القاهرة ١٣٨٠ هـ .

٢٣ — سنن أبي داود — ط١— مصطفى الحلبي — ١٣٧١ هـ
٢٤ — سنن الترمذي — « « من ١٣٥٦ هـ — ١٣٨٨ هـ
٢٥ — سنن الدارمي — المدينة المنورة ١٣٨٦ هـ .
٢٦ — سنن النسائي — مصطفى الحلبي — ط١ — ١٣٨٤ هـ.
٢٧ — سنن ابن ماجه — عيسى الحلبي — ١٩٧٢ م .
٢٨ — سيرة ابن هشام - ط ٢- مصطفى الحلبي ١٣٧٥ هـ .
٢٩ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن عماد الحنبلي — المكتب التجاري بيروت — لبنان .
٣٠ — شجرة النور الزكية — المطبعة السلفية — القاهرة ١٣٤٩ هـ .
٣١ — شرح شواهد الكشاف — مطبوع على هامش الكشاف .
٣٢ — صحيح البخاري — مطبوع على هامش فتح الباري .
٣٣ — صحيح مسلم — ط ١ — عيسى الحلبي — ١٣٧٤ هـ .
٣٤ — ضحى الاسلام — أحمد أمين ط ٧ — النّهضة المصرية . ١٩٦٤ م .
٣٥ — العربي — مجلة شهرية تصدر بالكويت عدد ١٢٢ .
عدد ١٥٠ .
٣٦ — فتح الباري لابن حجر العسقلاني — مصطفى الحلبي ١٣٧٨ هـ .

٣٧ – فجر الاسلام – أحمد أمين ط ١٠ – دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٦٩ م .

٣٨ – الفرق بين الفرق – عبد القاهر البغدادي – مطبعة المدني – القاهرة .

٣٩ – فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة – البلخي – القاضي عبد الجبار الجشمي – الدار التونسية للنشر ١٣٩٣ ﻫ .

٤٠ – في التوحيد – ديوان الاصول لأبي رشيد سعيد ابن محمد النيسابوري – المؤسسة العامة للتأليف والنشر ١٩٦٩ م .

٤١ – القاموس المحيط – الفيروز آبادي – ط ٢ – مصطفى الحلبي ١٣٧١ ﻫ .

٤٢ – الكشاف الزمخشري – مصطفى الحلبي ١٣٨٥ ﻫ .

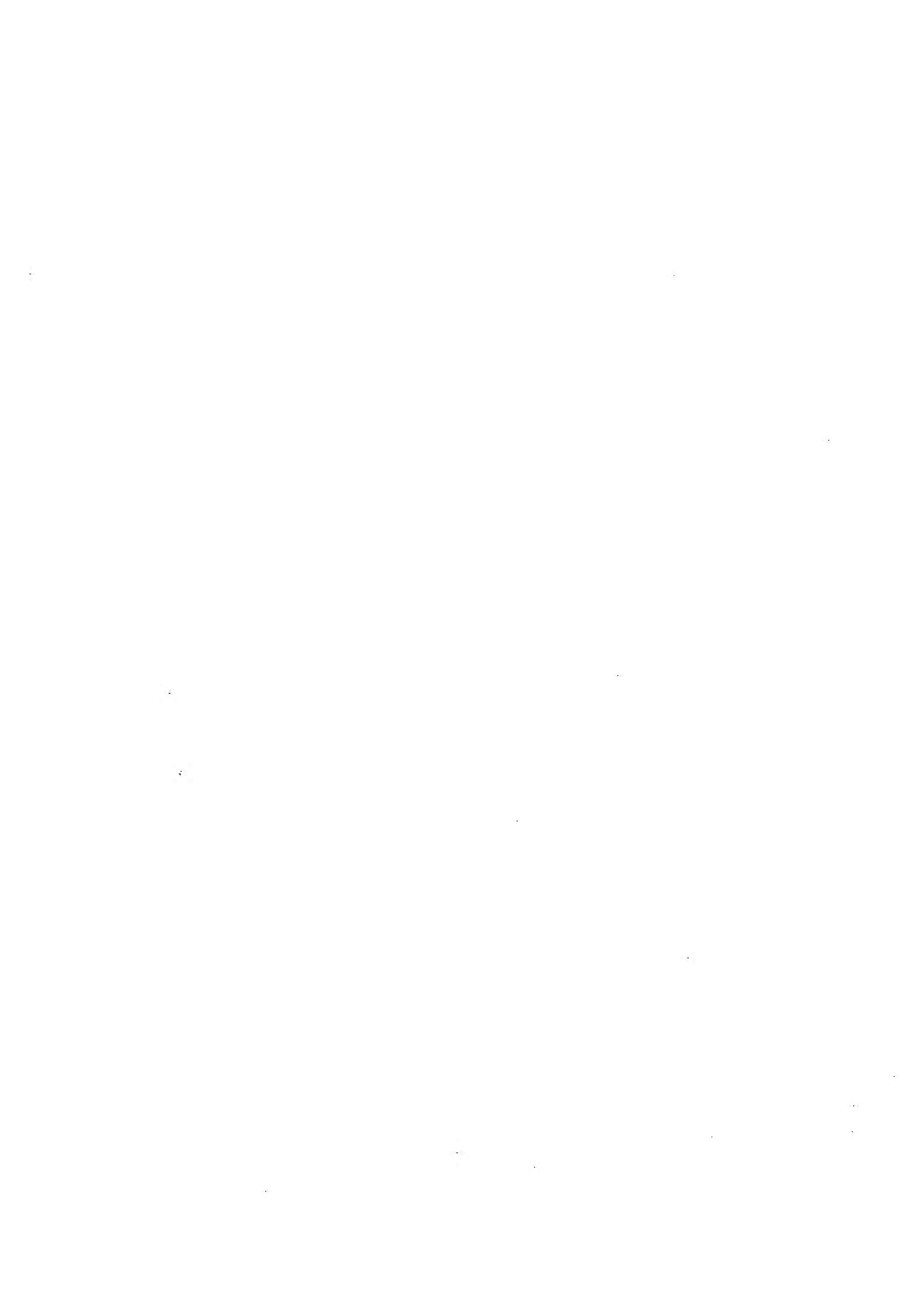
٤٣ – الكفاية في علم الرواية – الخطيب البغدادي ط ١ – دار الكتب الحديثة .

٤٤ – محاضرات في علوم الحديث – د. مصطفى أمين التازي ط ٣ – مطبعة دار التأليف .

٤٥ – المحدث الفاضل – ابن خلاد الرامهرمزي – دار الفكر – ط ١ – بيروت ١٣٩١ ﻫ .

٤٦ – المستصفى من علم الاصول – الغزالي – مطبعة بولاق ١٣٢٢ هـ .
– مسلم – انظر صحيح مسلم .
٤٧ – المصباح المنير – الفيومي – مصطفى الحلبي ١٣٦٩ هـ .
٤٨ – المعتزلة – زهدي جار الله .
٤٩ – مقالات الاسلاميين – الأشعري– مكتبة النهضة المصرية ط ٢ – ١٣٨٠ هـ.
٥٠ – مقدمة ابن خلدون ط ٣ – بيروت ١٣٦٧ هـ .
٥١ – الملل والنحل للشهرستاني – مصطفى الحلبي ١٣٨٧ هـ .
٥٢ – مناقب الشافعي – البيهقي – دار التراث – ط ١ – ١٣٩١ هـ .
٥٣ – منهاج السنة النبوية لابن تيمية – مكتبة دار العروبة – .
٥٤ – ميزان الاعتدال – الذهبي – ط ١ – عيسى الحلبي ١٣٨٩ هـ .
٥٥ – الموضوعات لابن الجوزي – المكتبة السلفية ط ١ – ١٣٨٦ هـ.
٥٦ – الموطأ – مالك بن أنس – كتاب الشعب .
٥٧ – موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين – جمال الدين

القاسمي – المكتبة التجارية مصر – .
– النسائي – انظر سنن النسائي .
٥٨ – نيل الأوطار – محمد علي الشوكاني – مصطفى الحلبي .
٥٩ – هدي الساري – ابن حجر – مصطفى الحلبي – ط ١ – ١٣٨٣ هـ .
٦٠ – اليهودية واليهود – علي عبد الواحد وافي – مكتبة غريب ١٩٧٠ م .



الفهرس